

نشأة الأفندية ودورهم في السياسة

حتى سنة ١٨٨٢

د. سلوى إبراهيم العطار
أستاذ مساعد التاريخ الحديث والمعاصر
كلية البنات – جامعة عين شمس

نشأة الأفندية ودورهم في السياسة

حتى سنة ١٨٨٢

د. سلوى إبراهيم العطار

أستاذ مساعد التاريخ الحديث والمعاصر

كلية البنات — جامعة عين شمس

تعريف بلفظ أفندي وماهية الأفندية :

قبل أن نتناول نشأة طبقة الأفندية يجدر الإشارة أولاً إلى أصل كلمة أفندى ومعناها واستخداماتها المختلفة حتى يسهل علينا تحديد الفئات التى انسحب عليها هذا التعريف ويمكن إدراجها تحت اسم الأفندية . فقد اختلفت الآراء حول تعريف كلمة أفندى ومصدرها فمن قائل بأنها اشتقت من الكلمة اليونانية العامية Effendis [١]. بينما ذكر فى أحد القواميس التركية أن أصل الكلمة رومى وتعنى صاحب أو مالك أو مولى أو سيد أو حاكم شرعى أو قاضى أى كانت تطلق عادة على ذوات الكبار أو أصحاب المناصب حتى أن كلمة Effendism كانت تعنى رسول الله صلى اللله عليه وسلم [٢]. وقد دخل لفظ أفندى فى اللغة التركية الأناضولية فى وقت مبكر واستعملها الترك فى القرن الثالث عشر الميلادى بمعنى السيد ثم كثر استخدامها بمعنى السيد العظيم حين أطلق محمد الفاتح على نفسه هذا اللقب فى أحد فرماناته كذلك انسحب هذا اللقب على من يلم بقدر من القراءة والكتابة وأطلقه العثمانيون على بعض كبار الموظفين ورئيس الكتاب وقاضى اسطنبول كما لقب به أولاد السلاطين ومشايخ الإسلام مثل: الملا" أبو السعود أفندى" والحاخامات مثل: حايم ناحوم أفندى حاخام إسطنبول الذى عين فيما بعد حاخاما على يهود القاهرة [٣].

أما الجبرتى فقد قرن هذا اللفظ بمن اشتغل بالعلم كالفقيه حسن أفندى الذى عمل بالخط وجوده [٤]، والمدرسين كعبد السلام أفندى الذى عمل مدرساً فى مدرسة المحمودية وكان إماماً فاضلاً وعلى دراية تامة بالعلوم الرياضية والآلات الفلكية [٥]، وكانت وظيفة الأفندى تورث من الأب إلى الإبن فنجد أحد وجهاء الأفندية المدعو محمد أفندى بن سليمان أفندى بن عبد الرحمن أفندى وهو من محبى العلم قد قرأ عن والده الكثير من علوم الحساب والفلك والتقويم ومهر فيها فانتظم فى عداد

أرباب المعارف [٦]، ومن الذين تولوا هذه الوظيفة بالوراثة أيضاً محمد أفندى كاتب الرزق الأحباسية ؛ إذ كان والده وجده يشغلان نفس الوظيفة التى أتقنا أساليبها وعرفا أسرارها، أما هو فلم يغرب عن ذهنه شيء يتعلق بتلك الأراضى سواء فى الوجه البحرى أو القبلى، ثم تولى وظيفته من بعده إبنه حموده أفندى [٧]، كما أطلق لفظ أفندى على من عمل بالضربخانة أى سك النقود وهذه المهنة تختلف عن التدريس ومهنة الكتابة أو الإشراف على الأراضى ومن هؤلاء: " أحمد أفندى الوزان وكان محبوباً من جميع الناس " [٨]. أما إسماعيل أفندى بن خليل فيبدو أن تكسبه من الكتابة وحسن الخط الذى أتقنه لم يكن يكفيه فعمل فى التجارة " فكان له حاصل يبيع به البن بوكالة البقل قرب خان الخليلى بالإضافة إلى نظم الشعر والقصائد والموشحات " . [٩]

كذلك كان هناك بعض الأفندية الذين ينتمون إلى بيئة المشايخ مثل: مصطفى بن صادق أفندى الحنفى الذى حفظ القرآن ومهر فى اللغة التركية وعلم الصرف والنحو بالأزهر فكان يلقى دروسه للطلبة الأتراك المجاورين برواق الأروام ويستمع إليه كثير من أبناء العرب والأتراك والأمراء والأجناد الذين أحبوه وأكرموه [١٠].

ومن المشايخ الوعاظ الذين انسحب عليهم لقب أفندى، الشيخ خالد أفندى بن يوسف الواعظ الذى كان يعظ الأتراك بمكة ثم حضر إلى مصر " ولازم حضور الأشياخ بمصر والوعظ للأتراك " [١١].

هناك أيضاً بعض الأفندية الذين كانوا ينتسبون إلى الطرق الصوفية يقول الجبرتى: "من أعيان الأفندية" السيد محمد أفندى البكرى شيخ سجادة السادة البكرية ونقيب السادة الأشراف بمصر تقلد بعد والده المنصبين وورث عنه السيادتين واشتهر ببراعته فى العلم وتزاحمت عليه الوفود [١٢]، ومن الأفندية السادة والصالحين الأجل العارف الشيخ محمد بن عبد الله الحافظ أفندى أبو ذاكر الخلوتى الحنفى وقد أخذ

الطريق عن السيد مصطفى البكرى و الشيخ الحفنى وغيرهم، وكان من أهل المعارف والأسرار، فوفد الطلبة إليه للأخذ عنه والتلقى منه (١٣).

والواقع أن لفظ الأفندية لم يقتصر على المصريين من الكتبة والمدرسين والمشايخ والبعض ممن انتسب إلى الطرق الصوفية، بل اندرج تحت لواء الأفندية بعض العناصر الأخرى من غير المصريين مثل: الأروام والمماليك وبعض العسكريين على نحو ما سنرى من هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر: الأمير حسن أفندى عبد الله الملقب بالرشيدى وهو رومى الأصل اشتراه سيده على أغا وهو صغير ودربه على الخط واجتهد فيه حتى أصبح " جامع المعارف " وشيخاً على جماعة الخطاطين والكتاب ونسخ بيده عدة مصاحف وأحزاب وبوفاته انقرض هذا الفن. (١٤).

كذلك أطلق لقب أفندى على بعض الأمراء فى مصر العثمانية ومن هؤلاء الأمير أحمد بك المسلمانى وأصله كاتب جراكسة وكان يسمى بأحمد أفندى، ثم عمل "باش إختيار جراكسة" وكثر ماله وحقق ثروة كبيرة حتى أصبح فى عداد الأغنياء، كما عمل صنجقياً سنة ١١٣٣هـ (١٥)، ومن الأفندية الأمراء أيضاً حسن أفندى شقبون "كاتب الحوالة" وهو مملوك مصطفى أفندى شقبون وقد نشأ فى خدمة الوزراء والكبراء وحاز كماً من الكتب النفيسة . (١٦).

هناك أيضاً حسين أفندى الذى تقلد قلفة الشرقية وهو إبن الأمير عبد الله من المماليك تربى عند محمد أفندى البرقوقى ومهر فى الروزنامة فحاز شهرة واسعة وانتظم فى عداد الأعيان واقتنى الجوارى والسرارى والمماليك والعبيد (١٧).

وممن تقلد كتابة الروزنامة أيضاً محمد أفندى باشقلفة مملوك يوسف أفندى وخشداش محمد أفندى ثانى قلفة. وكان محمود السيرة فى عمله (١٨) .

ولم يكن لقب أفندي قاصراً على الوظائف المدنية، بل أطلق أيضاً على بعض العسكريين من الضباط حتى رتبة البكباشي في الجيش العثماني، أما الذين ترقوا من تحت السلاح في مصر فكانوا يلقبون بالأغا لأميتهم [١٩]، ومن هؤلاء العسكريين بعض العاملين في الأوجاقات كالأمير: إسماعيل أفندي الخلوتي إختيار جاويشان وهو من أعيان الإختيارية وكان على معرفة بالشئون السياسية وأمور الرياسة وتوفي عام ١٢٠٥ هـ [٢٠]، أما عبد الرحمن أفندي فقد جمع بين الوظيفة المدنية واللقب العسكري فكان يعمل بوظيفة " كاتب كبير باب تفكشيان "، وهو يعد من أرباب الأقلام بديوان مصر لأنه اشتغل بطلب العلم ولازم الحضور مع المشايخ "وأخذ الحديث عن السيد مرتضى الزبيدي والفقه عن مصطفى الطائي " [٢١] .

ومن الافندية من جمع بين السلطة السياسية والعسكرية مثل: الأمير إبراهيم كتخذا العزب الذي قتله سليمان أغا وآخرون بالرميلة سنة ١١٣٨ هـ ليملكوا باب العزب [٢٢] ، والأمير صالح أفندي كاتب وجاق التفجية، وهو من مماليك إبراهيم كتخذا القازودغلي، ونشأ نشأة صالحة وأحب القراءة وتجويد الخط واقتنى كتباً كثيرة وكان منزله مأوى ذوي الفضائل والمعارف [٢٣]. من هؤلاء الأمراء أيضاً إبراهيم أفندي وكان كاتباً كبيراً في أوجاق مستحفظان بالإضافة إلى أنه كان من الأعيان المشهورين وتوفي سنة ١١٣٧ هـ [٢٤].

نستخلص مما سبق أن لقب أفندي كان قاصراً فقط على ذوات الكبار سواء ممن كانوا يتقلدون الوظائف المدنية أو العسكرية ولا ينعم بها سواهم حتى أن المنتسبين إلى هذه الوظيفة أو ممن لهم علاقة بهؤلاء أنعم عليهم أيضاً بهذا اللقب فنجد على سبيل المثال: أن بعض زوجات السلاطين كانت تتمتع بهذا اللقب فيقال: " خانم أفندي أو قادين أفندي " [٢٥]، ولا نعتقد أن هذا اللقب منح تكريماً لها بقدر ماكان يعني أنها زوجة السيد.

كذلك جاء ذكر لقب أفندى فى الجبرتى بمعنى الكاتب أو موظف الدولة وقد دلل على ذلك بقوله: " وعينوا للسفر على أفندى كاتب مستحفظان " وفى موقع آخر يقول: "حضر الأفندى المكتوبجي من طرف القابودان" ،والمراد هنا بالمكتوبجي كاتب الرسائل، ثم أضاف: " واجتهد الناس من الأعيان وكل من له اسم من أكابر الناس وأهل الدائرة والأفندية الكتبة ...فى نصب الخيام ".

ويستخلص من العبارة السابقة أن الجبرتى أراد أن يثبت من سياق حديثة أن الأفندية الكتبة وهم من موظفى الدولة كانوا من أكابر الناس وهو فى ذلك لايختلف مع من عرفوا لقب الأفندى سواء من اليونانيين أو الأتراك، وعلى رأس تلك الشريحة الوظيفية من الأفندية كان يوجد الروزنامجي الذى ينعم بنفس اللقب وإن كان يشغل وظيفة رئيس طائفة الأفندية Le Roznamgy etait le chef de la corporation des effendys كذلك أطلق لانكرية على الروزنامجى لقب الأفندى الأول " Le premier effendy "[٢٦]. ويبدو أن أفندية الروزنامة تخصصوا فى إدارة أمور الأراضى بل ربما انفردوا بها ومما يدلل على ذلك ماذكره الجبرتى حين قال: " أمر الباشا بتحرير دفاتر الأطيان واختلى لتنظيم ذلك جماعة من الأفندية والأقباط "[٢٧].

ويذكر الجبرتى أحد الشخصيات الهامة التى تقلدت منصب الروزنامجى " بديوان مصر"، كالأمير أحمد أفندى الروزنامجي وكان أهلاً لوظيفته ويحفظ القرآن والألفية لابن مالك " فتراه أميراً مع الأمراء ورئيساً مع الرؤساء وعالماً مع العلماء وكاتباً مع الكتاب "[٢٨].

والحقيقة أن الجبرتى جمع كل الصفات التى تنطبق على الأفندية فى العبارة السابقة من حيث درايتهم بالأمور السياسية والإدارية والعلمية . وإذا كان الأتراك قد أطلقوا لقب أفندى على علماء المسلمين ورجال الديانات الأخرى فقد اطلقت فى مصر على نقيب الأشراف

"عمر أفندى". كذلك استخدم لفظ أفندينا بين المصريين وكانوا يطلقونه على الباشوات العثمانيين الذين تولوا الحكم قبل محمد على، وعلى مؤسس مصر الحديثة أيضاً ، وممن تولوا الخديوية فى أسرته، فقد ذكر الجبرتى فى أحداث سنة ١٢١٩ هـ مامفاده: قال الشيخ الأمير للترجمان: " قل لأفندينا هذا أمر غير مناسب وتترتب عليه مفاسد "، ولم تزل كلمة أفندينا جارية على ألسنة المصريين حتى عهد الخديوى عباس حلمى الثانى الذى تولى الخديوية سنة ١٨٩٢م، وكذلك استعمل البارودى كلمة أفندى فى قصيدة له فى مخاطبة محبوبته كما كان يفعل الأتراك فى أغانيهم .

لى به صاحب على عزيز | مثل ماعنده من الشوق عندى
فأهد منى له تحية صدق | وتلطف بحالتى يا أفندى

وأخيراً استخدمت كلمة أفندى الديوان بمعنى كاتب الديوان أو السكرتير أو الأمين [٢٩]، ويقصد بالديوان " الديوان الخديوى أو الديوان العالى المدنى" فى مقابل ديوان الجهادية الذى ينظر فى الأمور الحربية .

وفى سنة ١٢٧٥ هـ ، ولى سعيد باشا إسماعيل تيمور باشا الكبير رياسة ديوانه وأطلق عليه : ديوان أفندى ، أى " أفندى الديوان ". [٣٠]غير أن لقب أفندى لم يستمر فى البقاء ؛ إذ سرعان ماتم إلغاؤه وبطل استخدامه فى تركيا فى نوفمبر سنة ١٩٣٤م بناء على الأمر الصادر فى الجريدة الرسمية بتاريخ ٢٩ نوفمبر ١٩٣٤م، والذى نص على إلغاء جميع الألقاب ومنها الأغا والباشا والأفندى على أن تذكر الأسماء بالنسبة للرجال أو النساء مجردة بدون ألقاب سواء أمام القانون أو فى الوثائق الرسمية [٣١] .أما هذه الألقاب فقد ألغيت فى مصر بعد ثورة ١٩٥٢ [٣٢] .

وفي رأينا أن الأفندية كونوا شريحة إجتماعية متشعبة سواء في أصولها وانتماءاتها الطبقية أو كشريحة مهنيه شغلت وظائف متعددة، فمنهم الأمير والفقيه والصوفى والسلطان والباشا ورجال الأوجاقات، كما شغلوا الوظائف المدنية والعسكرية والسياسية ، وسنحاول في هذا البحث أن نوضح الدور السياسي الذى أخذه هؤلاء على عاتقهم منذ نشأتهم وحتى الاحتلال البريطاني .

نشأة الأفندية : –

لاشك أن أفندية مصر العثمانية يختلفون كل الإختلاف عن أفندية عصر محمد على " بفعل التعليم الحديث " وهؤلاء بالتأكيد يختلفون أيضاً عن نظائرهم في عهد إسماعيل وتوفيق ، وربما لم يكن هذا الخلاف في الإنتماء الطبقي لكن بدون شك كان الخلاف في التفكير وفى الثقافة وفي الاتجاه الحديث نحو ريادة الحركات الوطنية والمشاركة السياسية في الأحداث التي يصح أن نطلق عليها مشاركة إيجابية وفعالة إلى حد ما .

ولتوضيح تلك الاتجاهات يجدر بنا أن نشير أولاً إلى: طبقة الأفندية في الفترة السابقة لعهد محمد على " أى أفندية مصر العثمانية " حتى نستطيع أن نتلمس الفروق الواضحة والاتجاهات المختلفة بينهم وبين أفندية الفترات اللاحقة.

الواقع أن وظيفة الأفندى في العصر العثماني وعلى وجه التحديد في القرن الثامن عشر كانت تقتصر على الجانب الإدارى البحت، فهى إما متعلقة بجمع الضرائب أو تسوية الأمور المالية أو مسك بعض الحسابات والدفاتر والإشراف على تصريف الأمور الإدارية بصفة عامة، ولم يكن يتم اختيار الأفندية للقيام بتلك المهام اعتباطاً بل يشترط حصولهم على قدر من التعليم، كما أطلق لفظ أفندى على من

يقوم بتحصيل الميرى وكانوا فى العادة من المسلمين ويقيمون فى القاهرة ويعملون فى ديوان الروزنامة وكان رئيسهم يعرف بالروزنامجى ويتم اختياره من بين الأفندية [٣٣]. وإذا كان المسلمون قد قاموا بأداء مهامهم على خير وجه فى الوظائف الإدارية والمالية فقد عهد إلى اليهود وجامعى الضرائب والصيارف الأقباط فى القرن الثامن عشر بالأعمال الحسابية ومسك الدفاتر [٣٤] .

وهكذا عهد الأتراك والمماليك بإدارة أملاكهم الخاصة إلى الأقباط حيث توارثوا هذا العمل لفترات طويلة [٣٥] .

وقد أكد على ذلك بشارة تقلا حين ذكر أن: تقاسم المناصب الحسابية والإدارية فى مصر بين الأقباط والمسلمين كان من غابر الزمان [٣٦]. والحقيقة أن هذا الجهاز من الموظفين الحكوميين كان له تقاليده التى حافظ عليها من حيث مكانته المتميزه لارتباطه الوثيق بالحكومة أولاً، ولأن أفراد هذا الجهاز كانوا ينتمون إلى طبقات اجتماعية عالية ثانياً [٣٧]، ولكفاءتهم الوظيفية ثالثاً ، ثم حسن خلقهم ،فأصبحوا يشغلون وظائفهم مدى الحياة ، كما تمكنوا من توريثها لأبنائهم " شريطة موافقة الروزنامجى عند تعيين الأفندية الجدد فى مناصبهم " [٣٨].

ولم يكن هناك مانع من التنازل عن الوظيفة أو بيعها لشخص آخر ولايحق للسلطان الاعتراض طالما تم دفع الضريبة المقررة فى مثل تلك الحالات [٣٩].

وللأفندية مراتب ودرجات، فالروزنامجى كان بمثابة كبير الأفندية ويعمل تحت إمرته أربعة منهم ، ولايمكننا أن ننكر بأى حال العلاقة القائمة بالفعل بين وظيفة الروزنامجى والأفندى، فالروزنامجى هو الجابى العمومى لأموال السلطان فى حين كان الأفندية وكلاء للجباية

ويتم تعيين الروزنامجي من قبل الباشا وبترشيح من الديوان ويمارس اختصاصاته بمقتضى اللوائح التى توزع الأعمال على الأفندية التابعين له (٤٠)، والذين كانوا على درجة عالية من المهارة فى كل مايتصل بالإدارة المالية والأعمال الحسابية وغيرها، كما كانوا يستخدمون خطوطاً ليس من السهل قراءتها وهى المعروفة بخط القيرمة (٤١) ضماناً لسرية مكاتباتهم وقد تعلموه فى القسطنطينية بعكس الأقباط الذين استخدموا اللغة العربية (٤٢).

وقد أطلق على الأفندية الأربعة المساعدين للروزنامجي إسم: " باش حلفا وثانى حلفا وثالث حلفا ورابع حلفا "، أما الأول: فقد عهد إليه بحسابات الميرى ،كما قام بنفس المهمة كل من أفندى الشرقية والوجه القبلى وعلى هذا الأخير تقع مهمة مسك حسابات رجال الجمارك الخاصة بالموانى البحرية والداخلية، أما أفندية الغلال والمحاسبة فقد عهد إليهم بحسابات توزيع الحبوب المحصلة لحساب الميرى والمرسلة إلى الحرمين الشريفين بالإضافة إلى إصلاح الترع والحصون (٤٣)، بينما كلف أفندية اليومية بعمل الحسابات الخاصة بالفقراء والعجزة والأرامل والأيتام وكبار المشايخ وخصص سبعة آخرون لفرق الأوجاقلو السبعة، وتقع على كاهل أفندى المقابلة مهمة فحص ومراجعة كل الحسابات السابقة ولأهمية وظيفته عين له خمسة حلفا لمساعدته فى مهامه، بينما وكل إلى أفندى الكوريكجى* (٤٤) محاسبة كل ملتزم على المصاريف التى ينبغى عليه دفعها فى مقابل نقل الأنقاض من القاهرة إلى بوغازى رشيد ودمياط.

وقد تم تعيين مساعدين آخرين للأفندية والروزنامجي وأدخلوا فى عداد الأفندية مثل: " الكيسة دار " أو حامل الحقيبة التى تضم دفاتر الحسابات وكانوا بمثابة الحراس عليها ، واشترط فى تعيينهم معرفة الكتابة ، أما الصيارفة والكتبة فخضعوا مباشرة للروزنامجي ، الذى

كلف بتقديم حساباته الإدارية إلى الباشا والدفتردار وشيخ البلد بالقاهرة لاعتمادها ، ثم تراجع على يد الأغا الذى يرسل خصيصاً لذلك تمهيداً لإرسالها إلى القسطنطينية لمراجعتها (٤٥)؛ إذن كان الروزنامجي يخضع لإشراف متعدد من قبل السلطات السياسية والإدارية والعسكرية .

وفيما يتعلق بمكانة طبقة الأفندية الاجتماعية فى هذه الفترة فقد حظى أفرادها باحترام واضح لأن الوظائف الحكومية كانت سبيلاً إلى الثراء خصوصاً أصحاب الوظائف العالية ومن بينها وظائف الجباية، فنجد على سبيل المثال:أنه تم تخصيص جزء من مال الميرى أطلق عليه إسم جامكية مصر كمعاشات وأجور للأفندية بالإضافة إلى نصيب عينى أيضاً من نفس المال ونسبة تقدر بـ ١% حين انتقال الملكية من شخص إلى آخر بالبيع أو الهبة كما خصص للأفندية راتب سنوى من مال الميرى بلغ ١٥٠ كيساً على أن يقسم فيما بينهم بحسب وظيفة كل منهم(٤٦).وهذا يؤكد ما سبق أن ذكرناه من أن الأفندية كانت لهم مراتب وانتماءات طبقية متميزة ، فمنهم من ينتمى إلى الطبقة الوسطى وهم من ميسورى الحال بناء على الثروة التى فى حوزتهم، أما أثرياؤهم ، فكانوا يشغلون الوظائف الهامة، وبناء عليه يمكن إدراجهم ضمن الطبقة الأرستقراطية .

أما فيما يتعلق بالروافد التى صنعت الشخصية فيمكننا أن نقسمهم حسب السلم الوظيفى على النحو التالى: كبار موظفى الدولة، ومنهم على وجه التحديد الروزنامجي لما له من وظائف إدارية رئيسية من خلالها تكون معاملته مع الباشا أو السلطان أو قاضى عسكر، ثم يليه فى السلم الوظيفى، الأفندية بفئاتهم المختلفة وهم جميعاً يعملون تحت إمرته (٤٧).

وبالطبع لم يكن بقية الأفندية على نفس الدرجة أو المكانة التى يحظى بها غيرهم ، فالباش حلفا يعد بمثابة الموظف الأول لدى

الروزنـامجى؛ ولهـذا كـان يتقاضـى مبلغـاً يفـوق ماخصـص لأفنـدى الشـرقية والغربية ، بالإضافة إلـى قـدر مـن الغـلال كمـا يقـع تحـت يـده السـجل العـام للملكيات (٤٨) .

أما أفنـدى المقابلـة ، فقـد كلـف بتسـجيل كـل مـا يطـرأ علـى سـجلاته مـن تغيـرات خاصـة برواتـب المـوظفين ومصـروفات الجـيش والإنفاقـات المتنوعـة والمعاشـات والأعمـال والمؤسسـات الخيريـة التـى خصـص لهـا السـلطان اعتمـادات نقديـة ، وكلـف أفنـدى الكسـوة بمسـك سـجل مصـروفات المحمـل والصـرة ، وكلـف أفنـدى آخـر بالإشـراف علـى تنظـيم وصـرف المرتبـات والجامكيـات بالاتفـاق مـع أفنديـة الأوجاقـات ، أمـا أفنـدى المحاسبة فقـد كلـف بمسـك حسـاب كـل مايرسـل إلـى البـاب العـالى نقـداً أو عيناً (٤٩).

ولـم يكـن فـى مقـدور أحـد أن يغيـر مـن تلـك الاختصاصـات سـوى السلطان ، وكان علـى الروزنـامجى التأكـد فقـط مـن سـير العمـل علـى النحـو المرضـى وإشـرافه علـى الأفنديـة القـائمين بالعمـل الإدارى وأفنديـة الفـرق العسـكرية ، رغـم تعيينـهم مـن قبـل أوجاقـاتهم ، وكـان يسـلمهم الاعتمـادات التى رصدت لكل أوجاق ليوزعوها طبقاً لتعليماته .

ممـا سـبق يتضـح أن الروزنـامجى كـان يشـرف علـى هيئـة الأفنديـة المـدنيين والعسـكريين علـى حـد سـواء ، ويقـول زهيـر الشـايب فـى هـذا الصدد : " لقـد يسـرت لهـم هـذه المميـزات مـداخل سـهلة لـدى الكبـار " (٥٠)، وأصـبحوا فـى المنـاطق التـى يقيمـون فيهـا حكامـاً ، وأتـى المماليـك والأتـراك علـى بعضـهم واسـتعانوا بهـم فـى الأمـور الإداريـة ؛ فاتخـذ علـى بـك الكبيـر المعلـم رزق وزيـراً لـه، وعمـل المعلـم غـالى عنـد محمـد بـك الألفـى وكـيلاً ، وبطـرس أغـا وكـيلاً لحـاكم جرجـا (٥١)، وقيـل أيضـاً أن الأقباط عملوا فى منازل البكوات ولدى ضباط الأوجاق (٥٢).

وهكـذا نـرى أن الأفندية كشـريحة إجتماعيـة كانـت تحظـى بمكانـة سياسـية ذات اعتبـار سـواء مـن قبـل الباشـوات أو كبـار المماليـك بفعـل تواجـدهم فـى وظـائفهم وإشـرافهم علـى المهـام الإداريـة بشـقيها المـدنى والعسـكرى ، وفـى المقابـل كـان علـيهم دفـع الضـرائب التـى تفـرض علـى حصـيلة دخلهـم مـن تلـك الوظـائف (٥٣) ، ولـو لـم يكـن الأفنديـة يتمتعـون بمميزات عديـدة ومختلفـة كالأعطيـات التـى منحـت لهـم إلـى جانـب الرسـوم التـى حصـلوا عليهـا مـا اتجهـوا إلـى تلقـين مهنـتهم لخلفـائهم ؛ " لأن هـذه الوظائف أصبحت تمثل مصدراً للثراء " (٥٤).

وبالإضافة إلى كبار الأفندية العاملين فى شئون الإنفاقات والمصروفات ووظائف الأفندية العاملين فى حقل الجباية والتحصيل، كان هناك نوع آخر مـن الأفنديـة كلفـوا بـإدارة المدارس ونسخ الكتب ، وكان من النادر أن يهجر هؤلاء أو أولئك مهنتهم كي ينخرطـوا في سلك مختلف (٥٥) . وربما يرجع ذلك إلى القوانين المصرية القديمة فى عهد الفراعنـة التى تقضى على الأبناء أن يزاولوا صناعات أبائهم ويمارسون مهنهم فكان هذا من أعظم بواعث استقرار الهيئة الإجتماعية (٥٦).

إذن كان الأفندية مـن حيـث السـلم الـوظيفى ينقسـمون إلـى شـقين : شـق وكـل إليـه العمـل فـى الإدارة الماليـة بوجهيهـا سـواء الجبايـة والتحصـيل أم الإنفاقـات والمصـروفات ، وشـق آخـر مهمتـه تعليميـة بحتـه ؛ وأى الفـريقين كان يفخـر بوظيفتـه ولـم يكـن مسـتعداً للتنـازل عنهـا والانخـراط فـى وظيفـة أخرى بعد أن أهل لذلك العمل دون غيره .

والخلاصـة أن الأفنديـة قبـل بدايـة عهـد محمـد علـى كـانوا يتميـزون بكفـاءات معينـة ومكانـة اجتماعيـة مميـزه ، ولكـن يجـدر بنـا أن نتسـاءل : هـل ظلـت وظـائف هـؤلاء تتخـذ نفـس الشـكل فـى عهـد محمـد علـى " أى الاقتصـار علـى النـواحى الإداريـة الخاصـة بـالإدارة الماليـة " ، أم اتخـذت شـكلاً مغـايراً بفعـل العوامـل الخاصـة التـى اسـتحوذت علـى البنـاء العقلـى والمتعلقـة بـالتعليم الحـديث الـذى أدخلـه محمـد علـى والاحتكـاك بـالخبرات

الأجنبية ، وهل أدى كل هذا إلى خلق طبقة جديدة تختلف عن نظيرتها في العهد العثماني ؟؟

التعليم والأفندية فى عصر محمد على :

للإجابة على التساؤلات السابقة نود أن نشير إلى أن الأفندية تعتبر بحق فئة متشعبة ، سواء فى أصولها وانتماءاتها الطبقية ، أو كشريحة مهنية شغلت وظائف متعددة اختلفت باختلاف العصر الذى عاشت فيه، مع وجود بعض القسمات المشتركة ، فمنهم الأقباط الذين عملوا فى الحقل الإدارى والمالى ، ومنهم الأتراك الذين شغلوا المناصب الإدارية سواء فى العهد العثمانى أو فى فترة حكم محمد على . كذلك كان هناك الأفندية الذين تلقوا الثقافة الأزهرية ثم الثقافة الحديثة فى البعثات وتولوا الوظائف الحكومية وحلوا محل الأتراك .

ولتوضيح هذه الجزئية رأينا أنه لابد من الإشارة إلى الحالة العلمية التى كانت تعيشها البلاد والهيئات القيادية فيها قبل أن يدخل محمد على نظام التعليم الحديث فى مصر، ثم نتتبع الخطوات التى اتبعها فى هذا المجال وما أسفر عنه ذلك من تكوين شريحة من الأفندية حظيت بثقافة مختلفة ، ووظائف معينة بفعل التعليم العصرى فى المدارس المدنية التى أقامها محمد على ؛ إذ عملوا فى الحكومة مما أسبغ عليها مكانة اجتماعية ذات شأن لم تعهدها من قبل فى ظل العصور السابقة .

سادت مصر حالة من الجهل العام والشامل مثلها فى ذلك مثل سائر البلدان التركية حتى شمل كل الطبقات وتجلى فى كل جوانبها الثقافية من أدب وعلم وفن [٥٧]، وعاش الناس حياة انعزالية تقليدية قوامها المحافظة على القديم والتمسك به وعدم الرغبة فى التغيير ، ولم يلتفتوا إلى ماحققه العالم الخارجى منه [٥٨]. وعلى هذا الأساس ظل التفكير المصرى حتى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر مستمداً من الثقافة العربية وحدها ؛ ولهذا كان طابعه متأثراً بالعاطفة والعقيدة أكثر من تأثره بأى شىء

آخر (٥٩). فالآباء كانوا ملتزمين بأن يعطوا لأبنائهم نوع التعليم الذى يتناسب مع درجة ثرائهم ، أما العدد الأكبر من الفلاحين وأبناء الطبقات الشعبية فكانوا لايعرفون القراءة أو الكتابة ، وقدر عدد من يعرفون ذلك بثلث عدد سكان القاهرة الذكور أو حتى الربع فقط ، واقتصرت الدراسة على القراءة وحفظ القرآن فى مراحل الدراسة الأولى ، ولم يكن الناس يتصدون لمشقة تعليم أبنائهم ، كما أن الكبراء لم يرسلوا أولادهم إلى المدارس العامة ، وكانت هذه المدارس تدين بوجودها لأعمال البر وهى تكثر فى المدن التى تحظى بالأهمية ويقوم الأثرياء بالإنفاق عليها حيث كانوا يخصصون جزء من ميراثهم لهذا الغرض .

يقول : دى شابرول " ولولا هؤلاء لحرمت كل من مصر وتركيا من معرفة المبادئ الأولية للتعليم " (٦٠). أما عن نظام إدارة المدارس أو حتى ملكيتها ، فكانت من حق نجل مؤسسها أو أحد ورثته، وفى إمكانه التنازل عنها، أو بيعها لصالح آخر، ويشترط فى المدرس أن يكون قادراً على القيام بمهام وظيفته وحافظاً للقرآن، وإلا أصبح من حق القاضى تغييره (٦١)، ثم بدأت الأحوال الثقافية والتعليمية " ترى نهضة وليدة فى هذا المجال " (٦٢) بسبب التماس الذى أحدثته البعثة العلمية التى صاحبت الحملة الفرنسية والتى نجحت إلى حد ما فى تنبيه وتحريك الحس الوطنى، وخلق فئة من المتنورين ألقى على عاتقهم تلك المهمة الحضارية كما سنرى، وأخذ المجتمع يتعرض فجأة للمؤثرات الغربية الفعالة ويسعى إلى استعادة توازنه ، وإعادة تنظيم بنيانه التقليدى (٦٣) .

كان من الطبيعى إذن أن يفرز هذا المجتمع من أحشائه قيادات جديدة يمكن أن تحمل على كاهلها مهمة إقامة عصر جديد من البعث والتنوير، غير أن القيادات التى احتكت بالفرنسيين فى البداية كانت تعبر عن تيارات اجتماعية وفكرية مختلفة ، وكان الكثير منها بحكم مصالحه الطبقية ومواقفه الاجتماعية ونوعية فكره وثقافته غير صالح ولامؤهل لقيادة الوطن فى هذا الطريق الجديد، فالقيادة الشعبية التقليدية التى قادت

المقاومة ضد الغزو الفرنسى وعارضت الحكم المطلق وكان على رأسها عمر مكرم نقيب الأشراف ضمت العديد من شيوخ الأزهر، ويقال أن هذه القيادة لم تكن مؤهلة لا طبقياً ولا اجتماعياً ولا فكرياً لحمل أمانة المهام الجديدة التى طرحت فى الساحة بعد الهزة الفكرية والاجتماعية التى أحدثتها الحملة الفرنسية ؛ لهذا كان موقفها هو موقف العاجز عن الاستيعاب لحمل هذا المشعل الجديد ، فهى غير مؤهلة ولا قادرة ولا راغبة فى حمل اللواء لصنع الأسس والدعائم لعصر التنوير العربى الجديد والحديث.

ونحن نرى أنه لا يمكن التسليم بهذا الحكم تسليماً مطلقاً، حيث أن مكانة هذه القيادة الطبقية والاجتماعية كانت تؤهلها بالفعل لتحمل أمانة التعبير عن آراء يصح أن توصف بأنها ليبرالية لمقاومة أنواع الظلم التى تقع على عاتق الأمة، أما الجزئية الخاصة بعجزها عن استيعاب الحضارة الغربية ؛ فهذا صحيح لأنها لم تكن مؤهلة لحمل هذا المشعل الجديد وحتى هذه الجزئية لم تنسحب على الأزهريين كافة ؛ لأنه وجد فريق من هؤلاء أتاحت له الظروف والأحداث الاحتكاك بعلماء الحملة مثل: الشيخ حسن العطار (١٧٦٦م- ١٨٢٥م) الذى اقتنع بضرورة التغيير، فأطلق صيحته المشهورة قائلاً : " إن بلادنا لابد أن تتغير أحوالها ويتجدد بها من العلوم والمعارف ماليس فيها "(٦٤).

لكن العطار لم يستطع أن يحول الأزهر برمته إلى آداة تنهض بمهام هذا التغيير، فقرر أن يرعى عدد من المصريين النابهين أمثال: رفاعة الطهطاوى، وإبراهيم الدسوقى، ومحمد عياد الطنطاوى ، ومحمد عمر التونسى فأخذ يلتقى بهم ويعرض عليهم مشاهداته وحصيلة احتكاكه بعلماء الحملة الفرنسية .

وكان واضحاً عن طبيعة قيادة الشيخ العطار وقدراتها أنها تحاول الإسهام فى تكوين الجيل الذى سينهض بالمهام المطروحة والتى

تتطلب نوعاً جديداً من المثقفين لايقدمون لأمتهم فقط التاريخ والجغرافيا والأدب والفلسفة، بل الرياضة والهندسة والزراعة ، ويعلمون هذه الأمة كل الجزئيات المطلوبة لصنع حضارة حديثة فيها السياسة والقانون والدستور وغيرها(٦٥).

وهذه الأفكار والمفاهيم بدأت تنتشر في المجتمع وتشكل تحدياً ثقافياً لنظام الأفكار والقيم القديمة، وكان على المثقفين المصريين الاستجابة لهذا التحدى (٦٦)، وأصبح عصر التنوير يلح في طلب قيادة جديدة تجسدت في رفاعة الطهطاوى ومجموعة المفكرين والمثقفين الذين صنعهم هذا الرجل من خلال مؤسساته التربوية والصحفية والفكرية ويمكننا القول بأن: " الشيخ حسن العطار كان بمثابة رائد فكر النهضة ، أما رفاعة فيعد من أبرز بداياتها " (٦٧) وهذا يقودنا إلى ضرورة التعرض لنظام التعليم الذى صاغه محمد على في قالب جديد اختلف بالضرورة عن النهج الذى نهجه الأزهر والعلوم التقليدية الذى ظل لفترة طويلة حريصاً على تدريسها، وبالرغم من أن مؤسس مصر الحديثة لم يكن متعلماً، فقد بدأ يتعلم حروف الهجاء على يد إحدى خادمات حريمه، والكتابة على يد أحد المشايخ (٦٨) إلا أنه اهتم بالتعليم ورأى ضرورة إنشاء نظام تعليمي حديث يخدم في الأساس متطلبات الدولة الحديثة عن طريق تكوين فئة من المتعلمين يمكنه الاعتماد عليهم في شق طريقه نحو الإصلاح ، وكانت خطته تتلخص في ترك الأزهر والمدارس الدينية كما هي، وإنشاء مدارس أخرى إلى جانبها لها برامجها الخاصة وبذلك أوجد ثنائية التعليم الديني والمدني (٦٩)، فالأول : كان منعزلاً عن تيارات الحياة الحديثة ، والآخر متطلعاً إلى المستقبل رغم فرضه على الأمة وانفصاله عن ماضيها الثقافي والاجتماعي، وقد اعتمد محمد على على الأزهر في التدريس في المدارس الحديثة واختيار طلبة المدارس الخصوصية والبعثات، وهكذا أحدث ازدواجاً

ثقافياً وانقسم المتعلمون إلى فريقين مختلفين في أساليب التفكير ونظرتهما إلى الحياة الثقافية(٧٠).

ومهما تضاربت الأقوال حول الغرض من التعليم الديني في مستهل القرن التاسع عشر، فمما لاشك فيه أنه نجح في تثقيف الناس، كما كان له قوة فعالة ومؤثرة إزاء الدولة لعدم خضوعه لها أو حاجته لمساعدتها (٧١)، وبالتالي أصبح من العبث أن يجد محمد علي في أروقة الأزهر الرجال الذين تحتاجهم فروع الإدارة والحكومة إلا بعد إعدادهم وتأهيلهم لتلك المناصب وانفتاحهم على الحضارة الغربية دون أن يصطدم بالتقاليد الدينية الراسخة ليسيروا بخطى ثابتة في مواكبة الحضارة الحديثة(٧٢) .

وهكذا ربط الباشا التعليم ببناء الدولة الحديثة مما أدى إلى خلق شريحة من الأفندية والموظفين الذين عملوا في التدريس ودوائر الحكومة وأصبحوا قادرين على تحمل مسئولياتهم الوظيفية بعد أن كانوا مبعدين عن ولوج تلك المهام المعهودة إلى العناصر المملوكية والتركية، وقد نجح محمد علي في تغيير تلك الأوضاع التي أسفرت عن إيجاد طبقة من الموظفين المصريين لتعبر عن نفسها كجزء من هيكل المجتمع الجديد (٧٣)، وقد اتبع طريقتين لتحقيق هذا الغرض هما: إنشاء المدارس وإرسال البعثات إلى الخارج لأنه لم يكن بمصر حين تولى الحكم أكثر من مائتين يعرفون القراءة والكتابة باستثناء الكتبة الأقباط(٧٤).

وعلى هذا الأساس أصبح إعداد فريق من الطلبة يمكن الاطمئنان إليهم في النهوض بوظائف التدريس أو ترجمة الكتب يمثل عقبة كئود، ولم يتم ذلك إلا في تدرج بطئ لأن الأساتذة الفرنسيين عجزوا عن إلقاء دروسهم إلا بالإستعانة بالمترجمين (٧٥) الذين تم اختيارهم من الأزهر هم وأساتذتهم لاستعدادهم لتجديد المعارف وانبهارهم بعلوم الفرنسيين، كالشيخ حسن العطار الذي بدأ بنفسه حين

تعلم مبادئ اللغة الفرنسية [٧٦] ، كما قام تلامذته بتأدية واجبهم الجديد سواء في التدريس أو في الترجمة ، ومنهم التونسي والدسوقي والطنطاوي وعلى رأسهم رفاعة الطهطاوي، الذي يعتبر بداية التجسيد الفعلي لتيار التجديد والداعية الأساسي له ، وكان هؤلاء من النابغين في المدارس والبعثات ومنهم تكونت نواة الأفندية[٧٧]، التي اعتمدت أساساً على الأزهر الذي بلغ تعداد طلبته " ألفين كان من بينهم عدد من غير المصريين " [٧٨]، وكان التفضيل بين المتقدمين يقوم أساساً على المعرفة العلمية دون اعتبار للتمييز الطبقي أو الشخصي ، فعمق معرفتهم هي التي أضفت عليهم مكانتهم العلمية [٧٩] ؛ لهذا كان طبيعياً أن يخلف الأفندية المشايخ في الزعامة الفكرية وإن كان هذا لا يعني اندثار مكانة الأزهر.

والحقيقة أن التعليم من وجهة نظر الحكومة لم يكن الهدف منه ترقية الشعب والنهوض به بقدر ماكان وسيلة لإعداد البيروقراطية التي تتولى شئون الإدارة والاقتصاد وإعداد كوادر الجيش [٨٠] ؛لأن الأزهر لم يكن قادراً على توفير أسباب الرزق لابتعاده عن مجال التوظيف، فبالتالي ابتعد عنه الناس ؛إذ كانت المناصب التي يشغلها خريجو المدارس والثراء والاحترام اللذان يحظون بهما في أنحاء البلاد قد خلب ألباب الناس وجذبهم إلى المدارس التي كانت تقدم لهم كل ذلك، ومن الموظفين الذين تخرجوا من المدارس الحديثة رؤساء المدرسين " الباشخوجات "، ونظار المكاتب الذين تم اختيارهم في الأصل من الأزهر، حيث قاموا بتدريس كتبهم واستعين بهم كمترجمين ومصححين، كما اختارت الحكومة عدداً منهم وأوفدتهم في بعثة سنة ١٨٢٦ إلى فرنسا [٨١].

وهكذا أصبحت ثقافة الأفندية خليطاً من الثقافة الدينية والثقافة الغربية ذات الفكر الحر والنظرة الجديدة للأمور والمخالفة لما كان

مألوفاً لديهم فـــى الماضــــى، حيـث كـــان يعهـــد إلـــى أبنـــاء المماليـــك والشراكســـة بـــدخول المـــدارس الحربيـــة، بينمـــا تمـــد المـــدارس الطبيـــة والبيطريـــة والإداريـــة بقلة من أهـــالى الـــبلاد. وهكـــذا كانـــت القيـــادة مـــن نصـــيب المماليـــك والأتـــراك، بينما اقتصرت الوظـــائف التـــى تولاهـــا أبنـــاء الشـــعب علـــى العمـــل فـــى دواويـــن الحكومة [٨٢].

وقـــد نفـــى الـــبعض عـــن محمـــد علـــى تعهـــده بالاســـتعانة بـــالأتراك والمماليـــك دون المصـــريين معـــززين وجهـــة نظـــرهم بـــأن المصـــريين هـــم الـــذين كـــانوا يكرهـــون التعلـــيم الحـــديث [٨٣]، فـــالفلاح المصـــرى ظـــل يـــبغض المدرســـة كبغضـــه للخدمـــة العســـكرية رغـــم التســـهيلات والفوائـــد التـــى تعـــود عليـــه مـــن جـــراء التعلـــيم [٨٤]، فطريقـــة التجنيـــد امتـــدت حتـــى شـــملت التعلـــيم نفســـه ؛ إذ كـــان يطلـــب مـــن الجهـــات المختلفـــة أن تقـــدم عـــدداً مـــن الأطفـــال الصـــغار يرســـلون إلـــى المـــدارس العامـــة حتـــى تتكفـــل الحكومـــة بطعـــامهم وكسائهم ومســـكنهم وتعلـــيمهم علـــى نفقتهـــا [٨٥]، وفـــى مقابـــل ذلـــك أصـــبح مـــن ســـلطة الحكومـــة معاقبـــة التلاميـــذ المهملـــين والتـــدخل فـــى حيـــاتهم الخاصـــة ومعـــاقبتهم إذا تزوجـــوا بـــدون تـــرخيص ، كحرمـــانهم مـــن أجـــازتهم وضـــربهم " ٣٠٠ زخمـــة " أمـــام الطـــابور وتطليـــق زوجـــاتهم [٨٦]. وفـــى الوقـــت الـــذى كان فيـــه محمـــد علـــى متشـــدداً مـــع المصـــريين نجـــده علـــى العكـــس مـــن ذلـــك يـــولى اهتمامـــاً كبيـــراً لأبنـــاء الشراكســـة والأكـــراد والأرنـــؤود ويعطـــيهم امتيـــازات كبيـــرة ليشـــجعهم علـــى التعليم،فقـــد ألحـــق بالمدرســـة التجهيزيـــة التـــى أنشـــئت فـــى عـــام ١٨٢٥م خمســـمائة مـــن أبنـــائهم ليتعلمـــوا فنـــون الحـــرب وخصـــص لهـــم مرتبـــات شـــهرية تزيـــد عمـــا يحتاجونـــه،وكانت هـــذه المدرســـة تعـــد لمـــدارس الطـــب والمشـــاه والفرســـان والبحريـــة والمهندســـخانه وأركـــان الحـــرب ولوظـــائف الـــدواوين الصـــغرى فهـــى تجمـــع بـــين التعلـــيم المـــدنى والتعلـــيم الحربـــى وإن كانـــت الصـــفة الحربيـــة هـــى الغالبة،وقـــد أخـــذ عـــدد

تلاميذ هذه المدرسة فى التزايد حتى بلغوا ١٢٠٠ تلميذاً منهم مائتان من المصريين والباقى من غير المصريين(٨٧).

أما مدرسة المحاسبة فقد أعدت الكتبة والمحاسبين للإدارات والمصالح المختلفة (٨٨) وتم إنشاؤها فى عام ١٨٢٩ م لتدريب الموظفين على طرق المحاسبة الحديثة (٨٩)، وعندما أصبحت حاجة الحكومة ماسة إليهم فى الدواوين بدأ عدد تلاميذها فى الزيادة من ٣٠ تلميذاً إلى ٣١٦ تلميذاً ، وتم تعيينهم فى الدواوين ونشرت أسماؤهم فى الوقائع المصرية (٩٠)، وكانوا يتقاضون مرتبات تبعاً لرتبهم المختلفة (٩١).

ومن المدارس التى اهتمت بإعداد الموظفين للدولة أيضاً مدرسة الفنون والإدارة الملكية والزراعة والهندسة والطب والألسن. فمدرسة الفنون كانت تعد الموظفين لجميع المناصب التى تتطلب إلماماً بالعلوم الطبيعية والرياضية ، ولحاجة محمد على إلى عدد كبير من الموظفين المثقفين ثقافة جديدة لإدارة الدواوين ، فقد بادر بإنشاء مدرسة الإدارة الملكية فى سنة ١٨٣٤م ، واختار لها ثلاثين تلميذاً من تلاميذ الدرسخانة الملكية، وعين للتدريس بها أرتين شكرى أفندى، وأسطفان رسمى أفندى عضوا البعثة إلى فرنسا اللذان تخصصا فى دراسة الإدارة الملكية (٩٢)، وكانا يقومان بترجمة دروس الإدارة المدنية وكتب التاريخ والوقائع المصرية للتلاميذ ؛ فإذا ماانتهوا من دراستهم النظرية وحققوا فيها النجاح كانوا يمرنوا عملياً على الإدارة المصرية ؛ غير أن هذه المدرسة لم تدم طويلاً ؛ إذ سرعان ما ألغيت بعد عام وبضعة أشهر من إنشائها ونقل تلاميذها إلى مدرسة الألسن(٩٣) .

إذن كان الحصول على لقب أفندى ليس من الأمور السهلة، بل كانت هذه الوظيفة تتطلب جهداً كبيراً فى الدراسة النظرية والعملية ، أما مدرسة الزراعة ففى بداية إنشائها كان الغرض منها تعليم فن الفلاحة

وعلم الزراعة، ثم تحولت عن غرضها الأول إلى تعليم الطلبة ليكونوا موظفين في دواوين الحكومة ومصالحها ، ولم يدخل تلك المدرسة إلا العنصر المصري [٩٤]، لأن الأتراك كانوا متمسكين بالمناصب الإدارية الكبرى ليظل المصريون تحت رئاستهم رغم محاولات محمد علي في إحلالهم محل الأتراك .

ومن المدارس التي اهتمت أيضاً بإعداد الأفندية، مدرسة الهندسة التي بلغ عدد تلاميذها ١٢٠ تلميذاً [٩٥]، وقد عنيت منذ البداية بتخريج مدرسين للرياضة بالمدارس، ومعيدين بالمهندسخانة ، مثل: محمد بيومي أفندي بعد عودته من فرنسا ، وبذلك تقرر الاستغناء عن المدرسين الأجانب ، ثم أخذ العنصر المصري في هيئة التدريس يزداد بعد عام ١٨٣٧م عندما أدرك لامبير [*] ضرورة تدبير الوظائف لخريجي المدرسة لتشجيع التلاميذ، وبالفعل قام بتعيين بعضهم معيدين بها، ومجموعة بقلم الهندسة بديوان المدارس، ومن تبقى عينهم مدرسين بالمدرسة التجهيزية [٩٦].

وهكذا حققت تلك المدرسة الغرض المرجو منها ؛ وهو تخريج المهندسين للمصالح والمدرسين المصريين للمدارس، وأصبح بيومي أفندي أستاذاً لجيل من المهندسين المصريين النوابغ في القرن التاسع عشر [٩٧]، كما نجحت مدرسة الطب في إعداد فريق من الطلبة وإرسالهم إلى فرنسا لمدة أربع سنوات، وحينما عادوا من بعثاتهم شغلوا بعض وظائف الإدارة والتدريس في نفس المدرسة ، وقد ثار جدل طويل حول المناصب التي تقلدوها وطريقة آدائهم لها، حتى حسمها مجلس إدارة المدرسة في ترجمة الدروس وشرحها، ثم التمرين العملي عليها حتى أصبحوا قادرين على النهوض بأعباء التدريس دون الاستعانة بالأساتذة الأجانب .

واستمرت الحكومة في تشجيع أوائل الخريجين وتمصير الدراسة بها وتعيين النابهين منهم في وظائف المعيدين والخوجات الثوان ؛ ففي سنة ١٨٤٥م ، تم تعيين محمد أفندي الشافعي وكيلاً للمدرسة التي برهنت على قدرتها في الاكتفاء الذاتي من العنصر المصري سواء في التدريس أو في الإدارة (٩٨) بعد تخرج بعض المشاهير منها مثل: على هيبة الذي عين مدرساً بمدرسة الطب ، كذلك إبراهيم النبراوي عضو بعثة ١٨٣٢م، والدكتور أحمد حسن الرشيدي وحسين غانم كمصححين ومحررين وغيرهم في وظائف مختلفة ، كالترجمة والتشريح والأمراض الباطنية كما تولى محمد الشافعي إدارة مدرسة الولادة ، ثم إدارة مدرسة الطب (٩٩) ، كذلك تم تعيين ستة من أعضاء البعثات من" أولاد العرب " في وظيفة أساتذة مساعدين بمدرسة أبي زعبل (١٠٠).

وأخيراً لا يجب أن نغفل دور مدرسة الألسن في تخريج الموظفين اللازمين للدولة، فقد بلغ عدد تلاميذ تلك المدرسة أول إنشائها خمسين تلميذاً انتقاهم رفاعة، ثم تزايد هذا العدد حتى وصل إلى مائة وخمسين تلميذاً، وقد شغل عدد من تلاميذها بعد تخرجهم في عام ١٨٣٩م ، مناصب التدريس فيها سواء باللغة الفرنسية أو العربية، فحلوا محل أساتذتهم وكانوا لايمنحون الرتبة حتى يترجم كل منهم كتاباً يحوز الرضا السامي، ويبقون بالمدرسة تحت الطلب حتى إذا احتاجت مدرسة أو مصلحة إلى أحدهم استدعته ومنحته الرتبة ومرتبها (١٠١) .

إذن كان الغرض من المدرسة هو؛ تخريج المترجمين للمدارس والمصالح الحكومية وإمداد المدارس الخصوصية بتلاميذ يعرفون اللغة الفرنسية(١٠٢) ومن أشهر هؤلاء: صالح مجدي وعبد الله أبو السعود، وهم من تلاميذ رفاعة الطهطاوي(١٠٣) ومحمد قدري الذي عين مترجماً مساعداً (١٠٤) .

وقد عهد بإدارة المدرسة والإشراف عليها من الناحيتين الفنية والإدارية إلى رفاعة الطهطاوى الذى كان يرأس لجنة الامتحان ويمتحن التلاميذ ومعه نخبة من مشايخ الأزهر لتدريس اللغة العربية وفى عام ١٨٤٥م ألحق بالمدرسة قسم لدراسة الإدارة الملكية العمومية لتخريج الموظفين الإداريين فى المديريات والمصالح وعاشت مدرسة الألسن مايقرب من خمسة عشر عاماً سيطرت فيها على شئون الثقافة العامة فى مصر [١٠٥]، وكان هدفها بث الثقافة الغربية الحديثة فى مصر وكادت تؤتى ثمارها لولا تألب الدول الأوربية على مصر فحرمتها ثمرة ذلك [١٠٦].

إذن كان هدف الدولة الأساسى من التعليم منصباً على تخريج الموظفين للحكومة وتعيينهم فى الدواوين والمصالح المختلفة ، وقد قاموا بمهامهم على خير وجه سواء فى الوظائف العامة أو التدريس ، ويبدو أن قصر سياسة التعليم الدنيوى والفنى على إعداد موظفى الحكومة ومستشاريها كان له أثر فعال فى جعل الأجيال الناشئة من المصريين تنظر إليه على أنه الوسيلة الوحيدة للدخول إلى سلك الخدمة المدنية، ولهذا اتجهوا إلى التعليم لأنه يؤدى إلى الوظيفة الحكومية [١٠٧]، وبالتدريج بدأ العنصر المصرى يغلب على المدارس ويتولى مناصب النظارة وغيرها، وإذا كانت هذه الوظيفة فى البداية تقتصر على المهام الإدارية، إلا أن الحكومة لم تلبث أن رأت ضرورة إلمام الناظر بالمهارات التدريسية، فأصبح أستاذاً يحذق الدروس ويلقيها على التلاميذ [١٠٨]، ومن أول النظار المصريين يوسف كاشف الذى عين فى مدرسة المعادن فى سنة ١٨٣٤م [١٠٩]، كما جمع رئيس المدرسين "الباشخوجه" بين المهام الإدارية والفنية [١١٠].

وبالتدريج بدأ المصريون يحلون محل الأجانب فى التدريس فى المدارس الخصوصية ومناصب الإدارة بها ومنها تم انتقاء الطلبة

الفائقين وعينوا فى وظيفة المعيدين الأوائل أو الثوان ومنحوا المرتبات تمهيداً للولوج إلى سلك التدريس[١١١]. وكان على رأس هؤلاء: مصطفى مختار بك أول مدير للمدارس بمصر فى عام ١٨٣٦م [١١٢]. ولما كان التعليم مرتبطاً بالجيش فقد كان خريجو المدارس يمنحون رتبة الملازم أو الاسبران الأول والثانى إذا ثبت اجتهادهم[١١٣]، وقد بلغت نفقات التعليم فى السنة ثلاثين ألف كيس ، ومتوسط تكلفة الفرد ألف وستمائة قرشاً ، أما مرتبات الموظفين المدنيين فقد بلغت وحدها ٣٨,٥٠٧ كيس [١١٤].

وإذا كانت المدارس قد ساهمت فى إعداد موظفى الدولة من الأفندية ، فإن البعثات قد كللت تلك المهمة بالنجاح؛ إذ كان الهدف منها تعلم اللغات الأوربية ودراستها للتخصص فى مختلف المهن وتكوين فئة من المصريين المثقفين لاتقل بأى حال عن أرقى طبقة فى أوربا والاستعانة بها للإشراف على دور العلم وتولى المناصب الحكومية فى الدواوين والإدارة والمصالح الحكومية والحلول محل الأجانب، وقد بدأ إيفاد البعثات إلى إيطاليا منذ عام ١٨٠٩م لشيوع لغتهم بين أهل الثغور، كما كانت لغة المكاتبات الرسمية بين القنصليات الإيطالية وغيرها، فقرر الباشا تدريسها فى مدارسه وترجمة الكتب من اللغات الأخرى إليها، وكان عثمان نور الدين من تلاميذ تلك البعثة، أما نقولا مسابكى أفندى فكان من أعضاء البعثة الثانية فى عام ١٨١٣م، لدراسة فن الطباعة وسبك الحروف، واستمر إيفاد البعثات إلى بيزا ما بين عامى ١٨١٨م، ١٨١٩م وتزايد عدد طلابها [١١٥].

وفى سنة ١٨٢٦م قررت الحكومة المصرية إيفاد أكبر بعثاتها العلمية إلى فرنسا، وكانت هذه البعثة هى الإطلالة الهامة والحقيقية للعنصر الوطنى المصرى على الحضارة الأوربية الحديثة فى مواطنها ، وقد بلغ عدد أعضائها ١١٤ طالباً [١١٦]، ثم أخذ أعضاء هذه البعثة فى الزيادة حتى وصل بعد عامين إلى أربعة وأربعين شاباً [١١٧]،

ولهذه البعثة مكانة واضحة فى تاريخ البعوث العلمية فى عهد محمد على، ليس لأنها أولى البعثات الكبيرة إلى أوربا فحسب، بل لكثرة المتفوقين من أعضائها المصريين اللذين بلغوا سبعة عشر مصرياً وطنياً (١١٨)، وكان الهدف من هذه البعثة دراسة مختلف فروع الإدارة الحربية والملكية والفنون والعلوم (١١٩)، وقد أعد هؤلاء ليكونوا من رجال السياسة، ومن تلاميذها: "المهردار أفندى" أحد رؤساء البعثة وكان مرتبه خمسة آلاف قرش فى عام ١٨٢٨م (١٢٠)، كما جمعت هذه البعثة بين الأرمن المسيحيين (أربعة أفراد) وثلاثة من المشايخ ، وإثنى عشر عثمانيا (١٢١)، وعلى رأسهم رفاعة الطهطاوى وأرتين بك الذى عين وكيلاً لشورى المدارس وشغل منصب ترجمان الباشا ، كما تقلب مصطفى مختار فى وظائف ديوان الجهادية ، ومجلس الملكية وشورى المدارس، ثم عين مديراً لديوان المدارس وظل فى منصبه حتى توفى سنة ١٨٣٩م وغيرهم (١٢٢).

ثم توالت البعثات إلى فرنسا فى أعوام ١٨٢٨م ، ١٨٣٠م، ١٨٣٢م ، وقد بلغ عدد المبعوثين ما يقرب من ستين طالباً معظمهم من أبناء الفلاحين (١٢٣) ، وقد رؤى عند تنظيم شئون التعليم فى سنة ١٨٣٦م ، ضرورة المضى فى إرسال البعثات إلى أوربا حتى نهاية عهد محمد على للحاجة الماسة للأساتذة المتخصصين ؛إذ كان من المتعذر إلقاء الدروس بلغة البلاد لصعوبة ترجمة المصطلحات العلمية ووضع الكتب اللازمة فى مختلف الفنون والعلوم ، وقد بلغ عدد من أرسلوا بعد عام ١٨٣٦م حوالى ١٦٣ طالباً، وهو عدد لا يستهان به لأنه يزيد عن من أرسلوا قبل هذا التاريخ ، وكان محمد على ينتقى لتلك البعثات الطلبة الذين أتموا دراساتهم فى المدارس الخصوصية حتى يكونوا مهيئين للدراسات العليا (١٢٤) ، وقد بلغ عدد المبعوثين إلى فرنسا فى سنة ١٨٤٠م ١١٤ طالباً، وعندما عادوا إلى مصر شغلوا العديد من المراكز سواء فى بعض دواوين الحكومة أو فى المدارس الحربية والمدنية (١٢٥) (*).

أمـا بعثـة الأنجـال التـى ذهبـت إلـى فرنسـا فـى عـام ١٨٤٤م والتـى بلغ عددها سبعين طالبـاً ، فقـد كـان مـن بينـهم اثنـان مـن أبنـاء محمـد علـى همـا حسـين بـك، وحلـيم بـك واثنـين مـن أحفـاده همـا: أحمـد بـك وأخـاه إسماعيل، وقـد بلـغ عـدد أعضـائها فـى سـنة ١٨٤٥م إثنـين وسـتين شخصـاً، وظـل محمـد علـى معنيـاً بشـئونهم، ثـم أصـدر أمـراً بتخصـص تسـعة مـن أفرادها فـى دراسـة الإدارة المدنيـة بعـد أن كـان الغـرض مـن إرسـالهم تعلـم الفنون الحربية.

وطبقـاً للسياسـة التعليميـة الجديـدة التـى أفضـت إليهـا البحـوث التـى اقترنـت بإعـادة تنظـيم التعلـيم قـرر محمـد علـى فـى سـنة ١٨٤٥م اختيـار خمسـة مـن طلبـة الأزهـر الشـريف لإرسـالهم إلـى فرنسـا لدراسـة علـم الوكالة فى الـدعاوى ، ثـم أرسـل فـى عـام ١٨٤٧م عـدداً مـن تلاميـذ المكتـب العـالى لدراسـة أمـور السياسـة والتخصصـات المختلفـة كالهندسـة والتجـارة ، وقد بلـغ مجمـوع مـا أنفقـه الباشـا علـى هـذه البعثـات حتـى عـام ١٨٤٣م ، ١٢٣,١٧٤ جنيهـاً ، أمـا بعثـة سـنة ١٨٤٤م ، فقـد تكلفـت ٩٤,٦١٥ ، هـذا وقـد بلغـت نفقـات البعثـات منـذ سـنة ١٨٢٦م : ١٨٤٨م ، ٢٧٣,٣٦٠ أمـا قبل سنة ١٨٢٦م فتزيد النفقات على ثلاثين ألفاً من الجنيهات [١٢٦] .

وكـان معظـم طلبـة تلـك البعثـات مـن المصـريين ، وقـد بلـغ تعـدادهم ٣١١ طالبـاً تـم إيفـادهم إلـى إيطاليـا وفرنسـا وانجلتـرا والنمسـا [١٢٧]، أمـا البعثة التـى أرسـلت فـى عـام ١٨٤٧م ، فقـد بلـغ عـدد طلابهـا ٣١٩ طالبـاً ، وكـان الهـدف مـن إرسـالهم هـو دراسـة الطـب والحقـوق والإدارة المدنيـة والعلـوم الطبيعيـة والكيميـاء والرياضـيات والهندسـة وغيرهـا. [١٢٨] وقـد اشـترط محمـد علـى تعريـب تلـك العلـوم وجعـل تـوليهم للوظـائف الحكوميـة مشـروطاً بترجمـة مـا درسـوه ، ومـن هـؤلاء الـذين عملـوا بالترجمـة والتـدريس فـى مدرسـة الطـب كـل مـن: علـى هيبـه، وإبـراهيم النبـراوى، وعيسـوى النحـراوى، ومحمـد الشـافعى، وغيـرهم، وعكـف كـل مـن حسـن

أفندى وعبد الله أفندى عزيز الكاتبان بديوان محمد على على ترجمة " تاريخ نابليون بونابرت " إلى التركية وانفرد عبد الله أفندى عزيز بترجمة " التلخيصات المتعلقة بتدبير أمور سلطنة الدولة العثمانية " من التركية إلى العربية بأمر من محمد على.

ومن كبار رجال الدولة الذين اشتغلوا بالترجمة أيضاً : إبراهيم أدهم بك مدير المدارس ، ومعظم الكتب التى دأب الموظفون على ترجمتها كانت فى الفنون والقانون، أما رفاعة فعين مديراً للمدارس فى عام ١٨٣٥، وعمل فى قلم الترجمة سنة ١٨٤١م ، ثم أشرف على الوقائع المصرية (١٢٩).

وهكذا ارتبطت جهود هؤلاء المبعوثين بعد عودتهم بنشاط الدولة، ولم يكن بالإمكان أن تثمر أعمالهم بعيداً عنها،فلاذوا بوظائفهم وجمدت جهودهم، ولم يبرز من بينهم إلا من امتد نشاطه بعيداً عن قيود الوظيفة، وكان رفاعة من أبرز أقرانه؛إذ امتد أثره أبعد من وظيفته، وغدا فى جيله رائد فكر وإمام نهضة، وإن لم تثمر فى عصره فإنها غرست بذورها التى نبتت وأثمرت على يد من جاءوا من بعده (١٣٠).

وقد جمعت ثقافة الأفندية بين الثقافة الدينية الأزهرية والثقافة الغربية ذات الفكر الليبرالى، مما مكنهم من نشر تعاليم أوربا وأنماطها ومناهجها ونظمها وأيدلوجيتها والانفتاح على الثقافة الغربية مع عدم تعارضها مع الشريعة الإسلامية التى تؤيد الاتجاهات السياسية الحديثة (١٣١) (*) ، وإذا أمعنا النظر فى الفقرة السابقة نجدها ذات شقين: الشق الأول يتعلق بالتحصيل الثقافى الذى حققه المبعوثون من حيث الفكر المتطور وفهم النظم الحديثة والانبهار بالفكر الليبرالى والحياة العصرية المتطورة، وهذا حدث بالفعل، أما الشق الثانى فيغلب عليه النظرة التفاؤلية لأن الفكر الجديد للطبقة الوليدة سرعان ماصطدم بالواقع المصرى المتحجر، وسلطة محمد على الأوتوقراطية، فلم تستطع تلك الفئة أن تنشر تعاليم أوربا وأنماطها ونظمها وأيدلوجيتها لأنها عاشت حالة حصر ذهنى مميت وأصبحت حبيسة لأفكارها ولم تعبر عنها، لكن هذا لا يمنع من تكوين

طبقة ذات عقلية خاصة أصبحت مميزة عن بقية مجموع الشعب الجاهل ليس بعقليتها فقط، وإنما بثرائها أيضاً بالنسبة للأغلبية الفقيرة، وأصبحت فئة الأفندية تضم عدة شرائح اجتماعية مختلفة، كأبناء الذوات من الموظفين والعلماء وأبناء الفلاحين، وقد أصاب هؤلاء المال والاحترام والتقدير، ومما يؤخذ عليها أنها لم تعد إلى بيئاتها التى نشأت فيها لترفع من مستواها، بل تحولت إلى بيئات أخرى جديدة فاكتظت بهم المدن التى أقاموا فيها طلباً للشهرة والغنى واحتكروا التعليم (١٣٢).

ويعد ذلك تحولاً خطيراً فى المجتمع المصرى ووضعاً لأسس جديدة فى تقسيم الناس إلى طبقات قوامها العلم، فمن أصابه أصاب الجاه والمال ومن حرم منه لم يصب من هذين شيء(١٣٣) ، حيث أن الحكومة كانت تتعهد الخريجين بالرتب والمرتبات والوظائف، ثم تسبغ عليهم من هيبتها سطوة ومقاماً، فالتعليم يرفعهم من حضيض الجهل والفاقه إلى مصاف الأفندية أبناء الباشا "وما أشيع من حرمان الأفندية من مناصب القيادة لمصريتهم وهم يحتاج إلى تبديد" (١٣٤) بدليل أنه تم إفساح الطريق للمصريين الذين يؤهلهم تعليمهم ووظائفهم لخدمة اللغة التركية والاندماج فى أفراد هذه الطبقة (١٣٥)، وإذا كان هناك من تفسير لحجب المناصب العليا عن المصريين فإما أن يكون ذلك راجعاً إلى طبيعة حكم محمد على، أو لأن المصريين دخلوا إلى سلك الوظائف حديثاً ولم يتوفر الوقت الكافى لكى ينتقلوا فجأة إلى المناصب الإدارية العليا، وعلى أية حال فقد فتح لهم الباب حتى وصلوا فى نهاية عهده إلى عدة مناصب هامة فيقال أنه:عهد بعديد من الوظائف من بينها المآمير إلى المصريين الوطنيين، وما كان فى وسعه أن يعمل للعنصر العربى أكثر مما فعل ؛إذ لم يتوفر فى حينه لأحد منهم خاصية القيادة (١٣٦)، فالقدر الذى حصلوه من التعليم " أهلهم فقط لتيسير دولاب العمل فى دواوين الحكومة وجعل منهم مجرد كتبه لا تصل بهم الأمور إلى حد الطموح" (١٣٧)، وكانت الوظائف تنقسم إلى قسمين هما: وظائف الكتبة فى

الـدواوين وجبـاة الأمـوال، وتعتمـد علـى المصـريين مـن المسـلمين والأقبـاط، ووظـائف الإدارة العليـا التـى اقتصـرت علـى الأتـراك والشراكسـة والأرمن، فقد اعتبـر الأقبـاط عهـد محمـد علـى مـدخلهم الحقيقـى إلـى الحيـاة العامـة فـى إدارة الدولـة كنتيجـة لنزعتـة الاسـتقلالية عـن الخلافـة العثمانيـة وقد استخدمهم لتحقيق طموحاته(١٣٨) .

ورغم ضآلة هذا المكسب إلا أنهم تخصصوا فى أعمال الحسابات وجمع الضرائب وجباية الأموال والتزام الجمارك وإدارة أموال أغنياء الترك والمماليك وأبنـاء العـرب، وبذلك اكتسبوا أهمية كبيرة من خلال وظائفهم (١٣٩) حتى أصبح من الصـعب الاسـتغناء عنهم أو حتى اكتشاف اختلاساتهم (١٤٠) فانتقى منهم الأكفاء لمساعدته فشكلوا فئة هامة فى الإدارة (١٤١) أمثال : " المعلم غالى" الذى عهد إليه بإدارة الشئون المالية ومسح الأراضـى وتقسيم الأطيان (١٤٢)، كما رفع بعضهم إلى مرتبة البكـوات (١٤٣) ، وهـو أمـر ظلـت ممتلكات الدولة العثمانية لاعهد لها به حتى استحدثه محمد على . فقد تولى باسليوس بـك وهو من الوطنيين الأقباط منصب مدير الحسابات(١٤٤)، وهكذا جعلهم الباشا مـن رجـال الصفوة فاعتبروه بالتالى ولى نعمهم لأنه تعهدهم بالتعليم وأنعم عليهم بالأرزاق السخية من مال وأرض، كما رفع من قدرهم بين الناس(١٤٥)، كما عين محمد على عبـود النصـرانى كاتباً للخـزينة ومنحه مرتباً كبيراً لثـقته فيه حتى أنـه رغـب فـى توليتـه منصـب الدفتردارية (١٤٦).

وكان تعيـين الموظـف يـتم بنـاء علـى أمـر عـال وسـند ديـوانى تحـدد فيـه الوظيفـة ومـن حقـه توريثهـا، فقـد تـولى عبـد الخـالق أفنـدى وظيفـة مسـتخدم بـديوان الروزنامـة، ثـم تـدرج فـى عـدة وظـائف وأمضـى فـى الخدمـة الحكوميـة فتـرة طويلـة حتـى رتـب الـديوان الرواتـب لأبنائـه ليصبحوا بعد وفاته قادرين على تولى مهام الإدارة.

وتعتبـر كفـاءة الشـخص أساسـاً لشـغل الوظيفـة فـى مصـالح ودواويـن الحكومة، مع الوضـع فـى الاعتبـار مـدى الفائـدة التـى سـتعود علـى الميـرى من عمله، لهذا سـرعان مـا يتحـول الموظـف بعـد تعيينـه إلـى آداة طيعـة فـى

يد الحكومة توجهه كيف تشاء حيث في إمكانها رفته من الخدمة إذا قصر في الوفاء بالتزاماته الوظيفية (١٤٧).

ورغم هذه الشروط إلا أنها لم تحقق النتائج المرجوه لأن موظفى الروزنامه واصلوا خداع الحكومة، فتم اعتقال عدد من كبار الأقباط على رأسهم المعلم غالى ووجهت إليه تهمة الاختلاس فى سنة ١٨١٠م، ثم أعيد إلى وظيفته بعد أن انتزعت منه غرامة كبيرة (١٤٨)، كما تم الإفراج عن المعلم جرجس الطويل وأخيه وفلتيوس وفرانسسكو بعد أن صالحوا على أنفسهم بأربعة وعشرين ألف كيس (١٤٩)، وقد اتبعت نفس المعاملة مع كبار المسئولين المسلمين فاتهم حسين أفندى الروزنامجى بالاختلاس فى عام ١٨١٣م ، وحينما عجز عن تسديد ما عليه فصل من وظيفته نهائياً (١٥٠)، وقد كوفئ بعض الأقباط الذين اعتنقوا الإسلام بمنحهم منحاً نقدية، كما عينوا فى الوظائف الحكومية (١٥١)، وكان من الطبيعي إزاء هذا التسامح أن يقبل الأقباط عدا القليل منهم على تعلم الكتابة لشغل وظائف الكتبة ، فالقبطى يؤثر أن يكون كاتباً ضئيل الإيراد على أن يكون صانعاً يكسب المال الوفير، وأصبح لقب الأفندى مطمحاً أسمى من السعى وراء الغنى وقد ساد ذلك الشعور فى المجتمع الشرقى كله (١٥٢).

وقد واجه التعليم الدينى الذى احتضنته الإرساليات عزوفاً من الأقباط لأنها كانت تعد القسس للكنيسة القبطية فقط، بينما أقبلوا على المدارس وتلقوا العلوم المختلفة واللغات لأنها تعدهم للوظائف الحكومية فى أغلب الأحيان (١٥٣)، لهذا فشلت جهود الألمان الذين جاءوا فى عام١٨٢١م من أجل تعليم أقباط مصر تعليماً دينياً وتم إغلاق المدرسة التى أنشئت فى سنة ١٨٤٠م بعد أن لقيت إعراضاً من أقباط مصر (١٥٤) الذين تمسكوا بالتعليم المدنى الذى يؤهلهم للمناصب الهامة فى الدولة بعد أن قطعوا شأواً فى التعليم وأصبحت وظائفهم الإدارية تختلف عن ذى قبل بفضل الثقافة العصرية التى رفعت شأن الكثيرين منهم "حتى بلغت مرتبات الكتبة الأقباط وغيرهم من الموظفين ٢٠ ألف كيس" (١٥٥).

وقد أكد الرافعي على نفس الرقم في ميزانية عام ١٨٣٣م وأضاف إليها مخصصاتهم الغذائية التي قدرت بـ ٢٥,٠٠٠ ألف جنيهاً.(١٥٦) كذلك فتح محمد علي باب الوظائف الكبرى للأرستقراطية التركية "اللغوية" بصرف النظر عن إنتماءاتهم الجنسية، كما رفع التعليم من مكانة المصريين الذين عملوا في الحقل التعليمي إلى مصاف الحاكمين (١٥٧) ، وبدأت العناصر المصرية تظهر في المدارس المدنية والحربية وبعض دواوين الحكومة وكانوا يقولون للأتراك: "سوف نكون أكثر منكم نفعاً لمعرفتنا بالبلاد، وسوف نمدها بالمعلومات والعلوم الأوربية التي تجهلوها، لأننا اكتسبنا من أوربا ثقافتها، وخبرنا المعرفة السليمة لتطبيق ما تعلمناه"(١٥٨).

وأخيراً كان للصحافة في عهد محمد علي دورها المؤثر على الأفندية، فجريدة الوقائع كانت توزع في صورة اشتراكات إجبارية على جميع موظفي الدولة ممن يتقاضون ألف قرش فأكثر شهرياً مجاناً على فقراء الطلاب، ونجح رفاعة في جعل النص الأصلي للوقائع بالعربية وحول الافتتاحية إلى مقال في التربية الوطنية والسياسية والاجتماعية بعد أن كانت مدائح في عظمة الوالي، وهذه بداية صحافة الرأي في مصر، كذلك آزر محمد علي جريدة لومنيتور إيجيبسيان وهي جريدة فرنسية ثقافية كانت تصدر أسبوعياً في الإسكندرية من أغسطس سنة ١٨٣٣م حتى ١٨٣٤م عن نادي أدبي أنشأه مثقفوا الإسكندرية للدفاع عنه ضد دعاية الباب العالي أمام الرأي العام الأوربي المحلي على الأقل، وقد صارع محمد علي النفوذ التركي وشجع الصحافة العربية والأجنبية في مصر لتدافع عن استقلال الإرادة المصرية في مواجهة الباب العالي (١٥٩) وتاريخ هذه الجريدة يؤكد لنا مدى سطوة محمد علي في هذه الفترة التي اعترفت فيها الدولة العثمانية بنفوذ محمد علي وابنه إبراهيم على عدة مناطق طبقاً لاتفاقية كوتاهية، ولكن الثغرة التي أبطأت

بالتطور الفكرى والعلمى والثقافى فى عهد محمد على هى تخلف الفكر السياسى الديمقراطى عن مستوى التطور المادى والاقتصادى ووقوف الحكم الفردى حائلاً دون اكتمال عناصر التجربة البورجوازية المتقدمة بقسماتها المتعددة الاقتصادية والاجتماعية والفكرية ،" فمصر التى دخلت عصر التنوير اقتصادياً وفكرياً إلى حد ما بقى نظام الحكم فيها أقرب إلى نظم العصور الوسطى "[١٦٠].

وفى النهاية أصبحت طبقة الأفندية جزء من جهاز محمد على الإدارى واتخذهم آلات تصنع له مايريد وليس لها إرادة فيما تصنع، وهكذا فقدت طابع الثورية لارتباط مصلحتها بمصلحة الحكومة وبقائها طى قيود الوظيفة ، فحاولت التكيف مع طبيعة المجتمع محاولة إيجاد تيار توفيقى بينها وبين الحكومة، بعكس ما سيصبح عليه الحال فى عهد إسماعيل .

عباس والتعليم :

استند عباس بعد توليه السلطه على كبار الإقطاعيين والملاك العقاريين الذين اتسع نفوذهم بحكم احتفاظهم بصلاتهم مع تركيا وسعيهم إلى تقليص دور العنصر الوطنى المصرى فى تسيير دفة الأمور، كما ابتعدوا عن الثقافة الحديثة ذات الصلة الفكرية بالثقافة الفرنسية التى أثرت فى المثقفين المصريين، ومن ثم تجلى ضيق أفق هذا التيار الرجعى فى صورة ازدراء الثقافة الفرنسية ونفوره من مؤسساتها ، ويعد انفراد عباس بالسلطة فى ١٨٤٩م نجاحاً لهذا التيار الرجعى فى الانقلاب على عصر التنوير الذى ساد البلاد فأصيبت المؤسسات الفكرية والثقافية بالإهمال والإلغاء كمدرسة الألسن [١٦١]، كما استغنى عن المدرسين الأجانب وألغى جميع المنح والرخص الممنوحة لهم ، مما أدى إلى هبوط ميزانية التعليم الشهرية من ١٧٢ ألف قرش إلى ١٤٩ ألف قرش [١٦٢] ورغم أنه حد من النشاط التعليمى بإلغاء المدارس ، إلا

أنه لم يلغ التعليم الخارجي إلغاءاً تاماً بل قلل من إرسال البعثات [١٦٣]، واستدعى طلابها الذين كانوا يتلقون العلم في فرنسا منذ عهد محمد علي حتى بلغ عددهم ١٩ طالباً فقط[١٦٤].

وفي الوقت الذي استغنى فيه عن كثيرين من الموظفين الغربيين فقد أظهر ميله إلى العادات والأنظمة التركية [١٦٥]، وعلى العكس من ذلك نجده يصب جام غضبه على النصارى وأهل البلاد من الأقباط فأخرجهم من خدمة الدولة وحل محلهم طائفة من الأحداث وأبناء المكاتب ، وكلف المباشرين بتعليمهم وتدريبهم فاختل نظام المصالح الديوانية وتطرق الفساد إلى جميع الأعمال " وكسدت حرفة التعليم " فاشتد كره النصارى له فأخرجهم من البلاد ونفاهم إلى أقاصي السودان رغم نصح الشيخ الباجوري له بعدم الضرر بهم باعتبارهم في ذمة الإسلام ، أما النصارى الفرنجة فنصحه بعدم الإساءة إليهم خشية تعرض مصر لما تعرضت له الجزائر[١٦٦]. وهكذا كانت سياسة عباس إزاء الأقباط مخالفة تماماً لكل من محمد علي وإسماعيل .

والحقيقة أن كره عباس لم يقتصر على الأقباط من أهل البلاد أو النصارى من العرب والأجانب إنما امتد ليشمل بطانة جده فأبعد أصحاب الوظائف العليا ، واعتمد على بطانته ممن يميل إليهم وأقصى أصحاب الرأي والشورى واستعان بغيرهم وسلم إليهم مقاليد الأمور، تدبير شئون الرعية ، فعملوا على تحقيق مصالحهم [١٦٧]. لهذا كله تراجعت حركة النهضة والتقدم وساءت حالة المدارس العليا والابتدائية ولم يبق منها إلا القليل لكرهه للعلم والتعليم [١٦٨]، ثم كانت رجعيته الطاغية حين أقدم على نفي الطهطاوي " وهي عملية من عمليات العنف المغلف التي استهدفت تصفية تجربة الطهطاوي التقدمية السياسية والفكرية " .

- وقد قيم الطهطاوى تلك العملية تقييماً دقيقاً حين ذكر : " أن نفيه كان عملاً مقصود به الحرمان من النفع الوطنى وليس مجرد موقف ضد فرد مثقف لصراعات شخصية بينه وبين الآخرين ؛ لهذا لم يحاول استعطاف هذا التيار الرجعى أو المصالحة معــه " (١٦٩) ، ثم حل محله على مبارك للإشراف على العملية التنظيمية للتعليم ، ورغم أن على مبــارك لم يكن معلماً (*) ، إلا أنه نجح فى الربط بين التربية والتعليم ولهذا أطلق عليه أبو التعليم فى مصر، ثم عمل على تطويع النظريات الغربية لتلائم البيئة المصرية مع توجيه الإنفاق إلى الخدمات التعليمية نفسها وليس ما يحيطها من مظاهر فى إقامة نظام تعليمى فى حدود الميزانية التى أرادها عباس وإنقاذ البقية الباقية من المدارس فى مصر إلــى الحــد الــذى أرضى عباس وجعله يخرج من الإطار الضيق إلى الإطار الشعبى الفسيح ، وعندما اختار عباس على مبارك لإدارة المدارس وافقه على ذلك لحاجة وطنه إلى التعليم " فهو مرتقاهم إلى النهوض والتقدم ، وكانت نظرته للتعليم تقتصر على نشره بين الشــعب ولــيس لســد حاجة الدولة من الإداريين والفنيين (١٧٠) ،وهو فى ذلك يخالف اتجاه محمد على الذى لــم يكن يهمه نشر الثقافة بقدر ما كان يرى ضرورة إعداد الكوادر لتولى وظائف الدولة ، كما أن عباس لم يعر للصحافة أى اهتمام ، " وقصر توزيعها على كبار المــوظفين وحظــر عليها الخوض فى أمور السياسة "، فلم يكن بحاجة إلى صحافة الرأى تمشياً مع سياســته الرجعية ، " كما كان خادماً مطيعاً للباب العالى" .(١٧١) .

والخلاصة أن عباس لم يكن على شاكلة جده فى رغبته الحثيثــة لإعــداد طبقــة وطنية قادرة على القيام بمهامها فى إدارة شئون الدولة لتحل محل الأتــراك والشراكســة لميله لهم لأنهم أكثر طاعة للباب العالى .

سعيد والتعليم :

تقلبــت سياســة ســعيد تجــاه التعلــيم بــين غلــق وفــتح المــدارس ، وبــدلاً مــن تنظيمهــا وإصــلاح مــا اختــل مــن شــئونها ، ســارع بإغلاقهــا إغلاقــاً نهائيــاً ، كما قلل مــن عــدد البعثــات إلــى أوربــا حتــى اقتصــرت علــى ١٤ طالبــاً فقــط (*) بعد أن منح محمــد علــى هــذا الحــق لأبنــاء الفلاحــين للاســتزادة مــن علــوم

أوربا والعودة بأعلى الشهادات [١٧٢]، وقد بلغت ميزانية المعارف في عهد سعيد ستة آلاف جنيه [**] .

غير أن اهتمام سعيد انصب فقط على العناية بالتعليم الأجنبي أكثر من عنايته بالتعليم الأهلي ، فكان يغدق على المدارس الأجنبية ويضن على المدارس المصرية بالنفقة التي تضمن استمراريتها ولم يبخل بالمساعدة على مدارس البعثات الأجنبية كالفرير والراعي الصالح والأباء الفرنسيسكان حتى امتد نشاطهم إلى معظم أنحاء مصر .

كما أنشأت الإرساليات الأمريكية البروتستانتية مدارس لها في القاهرة ، وعموما زادت مدارس الجاليات الأجنبية حتى بلغ عدد مدارسها قرابة خمسين مدرسة في أواخر عهده ولم يبق للحكومة سوى ثلاث أو أربع مدارس ، كما ألغى ديوان المدارس عام ١٨٥٤م . وهكذا حرم التعليم من هيئة إدارية متخصصة في شئونه حيث كانت تعمل على تطويره وازدهاره، وكلما كانت المدارس تسير قدماً أو يشتد عودها يسعى إلى هدمها متعمداً ، فاتسمت سياسته بالقصور في الفكر، وضعف التوجيه والخضوع للأهواء[١٧٣].

وعلى العكس من ذلك كان يمنح الإعانات السنوية لراهبات الراعي الصالح والمدرسة الإيطالية التي أنشأتها حكومتهم فقد نقدها ٢٤ ألف جنيه بالإضافة إلى قطعة الأرض .[١٧٤] وإذا كان دور سعيد إزاء التعليم يعد متواضعاً ، كما أنه لم يؤتي بالثمار المرجوة ، نجد الرافعي يؤكد أن عهده امتاز بظهور نهضة وطنية جديدة تعد دوراً من أدوار الحركة الوطنية مرجعها هو نزعة سعيد الوطنية وميله إلى خير المصريين ورفاهيتهم وترقيتهم إلى المناصب العالية في الجيش والإدارة بعد أن كانت وقفاً على الأتراك والشراكسة [١٧٥] " ، فسن لائحة المعاشات للموظفين المتقاعدين وهي الأساس الذي بني عليه فيما بعد نظام المعاشات المتبع في مصر لموظفي الحكومة، " وقد عمل بمقتضى

هذا القانون فى ٥ ربيع الآخر ١٢٧١هـ ، فكان من أكبر النعم وأجل المزايا (١٧٦) .

وكانت خطبته التى ألقاها على مسمع من كبار رجال الحكومة الملكيين والعسكريين والعلماء فى مأدبة قصر النيل تعد أول حجر فى أساس مبدأ مصر للمصريين حين قال: " إننى أعتبر نفسى مصرياً ، فوجب على أن أربى هذا الشعب حتى أجعله يخدم بلاده بنفسه ، ويتخلى عن الأجانب ، وقد وطدت نفسى على إبراز هذا الرأى من الفكر إلى العمل " (١٧٧) .

وعلى العكس من الرافعى يرى البعض أن سعيد لم يثق بأحد من الوطنيين لكى يشركهم فى الحكم ولم يدرب أحداً من أبناء الأمة على شئون الإدارة ، ولم يشجع العلم بحجة أنه ينبه العقول فيجعل من قيادتهم أمراً عسيراً (١٧٨).

لهذا خيم شعور من اليأس على موظفى عهده حيث لم يتقاضوا مرتباتهم حتى تكدست عليهم الديون وساءت حالتهم بالإضافة إلى إلزامهم بدفع إيراداتهم إلى صندوق الدين وإلا تعرضوا للعزل أو الطرد على أيدى المندوبين الغربيين ولم يعامل الموظفون الغربيون بنفس المعاملة مما تسبب فى خسارة مالية للحكومة قدرت سنوياً بنصف مليون جنيه لارتكابهم للمخالفات العديدة (١٧٩).

وربما كان هذا دافعاً للدولة العثمانية لإرسال اسكندر شهلوب إلى القاهرة وتمويله لإصدار جريدة السلطنة فى ١٨٥٧م لتعدد أخطاء سعيد ، وتذكر المصريين بواجباتهم نحو الباب العالى ، ولم تعمر تلك الجريدة ، ولكن نبعت أهميتها من أنها أنشئت لتخاطب الرأى العام وتؤلب المصريين على واليهم (١٨٠) الذى استخدم المصريين فى دواوين الحكومة وحلهم محل الأتراك فى الوظائف الإدارية العليا (١٨١) ، كما أنه

أدخل أبناء العمد والمشايخ فى المجال العسكرى فظهرت لأول مرة فى تاريخ مصر الحديث كلمة الوطن والوطنية ، وتكون الجناح العسكرى المثقف بعد أن وضعت النواة الأولى لخلق طبقة الضباط المصريين الذين تولوا فيما بعد قيادة الثورة العرابية وحصلوا على المراكز المرموقة فى الجيش بعد أن ربط الحب بينهم وبين سعيد الذى كان يرغب فى مساندة هؤلاء له ، إذا ما دخل فى صراع مع الدولة العثمانية أو عند مغادرته للعنصر التركى الشركسى فى الجيش الذى كان يكرهه ، إلا أن الأزمة المالية التى عانى منها جعلته يتراجع ويقوم بتسريح الجيش وإلغاء المدارس الحربية (١٨٢).

إسماعيل والتعليم :

لم تشهد السنوات التالية لحكم محمد على استمرار الإصلاحات الداخلية التى سادت عصره بنفس الدرجة لارتباط ذلك بعدة عوامل منها : خلق الحاكم ومزاجه ، ودرجة ثقافته ، واتساع أفقه ، ورغبته فى العمل أو العزوف عنه وقصر مدة حكمه أو طولها .

وقد تضاربت الأقوال حول السياسة التعليمية فى عصر إسماعيل إذ أصبح النظام التعليمى وجهازه الإدارى وغيره من الأنظمة تحت سيطرته التامة ، فلم يبتكر شيئاً فى هذا المجال بل أخذ فى إعادة المدارس التى أغلقت فى أواخر عهد محمد على وحاكى المناهج السابقة ، كما أن اختلال الأحوال المالية كان لها أثرها البالغ فى غل يد الحكومة عن التوسع فى إنشاء المدارس والمضى فى إصلاحها وتنظيمها (١٨٣)، وقد قيل أيضاً أنه بذل جهوداً كبيرة فى إنشاء المدارس الابتدائية فى القاهرة والأقاليم وحول التعليم من الكتاتيب إلى التعليم الابتدائى النظامى ، كما أدخل التغيير والإصلاح إلى الأزهر (*) بوضع نظام للامتحانات لتخريج العلماء والمدرسين فى عام ١٨٧٢م ، كما ألفت لجنة لإعطاء شهادة العالمية كأساس للنظام الجديد فى الأزهر(١٨٤) وتم تحديد العلوم التى يدرسها الطلبة وأدخلت العلوم العصرية وتحسنت الأحوال بالرواتب الثابتة للمدرسين (١٨٥).

كذلك اهتم إسماعيل بالتعليم كأساس للرقى والنجاح بالإضافة إلى إيمانه بخصب العقلية المصرية وضرورة وجود رأى عام مستنير لا سبيل إلى تكوينه إلا بنشر التعليم بين العامة على أن يستمد عناصره من التعليم الحديث والقديم ممثلاً في : مدارس الحكومة والمكاتب الأهلية ؛ لهذا بدأ في تشجيع المدارس بالتأييد المادى والأدبى [186] فأصدر قانون المعارف بإنشاء المراحل التعليمية الثلاث في القاهرة والإسكندرية وضواحيهما [187]، كما أصبح التعليم الابتدائى في عهده واجباً قومياً لا تختص به الحكومة وحدها بل رؤى تدبير موارد للصرف عليه خارج نطاق ميزانية الدولة من الأهالى والأوقاف [188] بهدف نشره بين عامة الأمة لتحقيق اليقظة القومية التى أدت إلى إنشاء مجلس النواب الذى شمل التعليم بعنايته باعتباره دعامة للنهضة التى كان يرجوها ممثلو الأمة [189] .

وقد ارتفعت ميزانية التعليم في عهد إسماعيل من ستة آلاف جنيه إلى أربعين ألف جنيه حتى وصلت إلى ٧٥ ألف جنيه ، وتم إنشاء أربع مدارس عالية هى : المهندسخانة ، والإدارة ، والحقوق والطب وغيرها من المدارس كالزراعة والمحاسبة والفنون وتعليم البنات بالإضافة إلى المدارس الأوربية التابعة للجاليات الأجنبية[190].

وهكذا بذل إسماعيل جهوداً كبيرة لترقية مستوى الأمة العقلى حتى أصبح عدد المتعلمين فيها ٤% من عموم ذكورها بعد أن كانت أقل من ١% بينما كانت نسبة المتعلمين في أكثر البلاد الأوربية رقياً ١٥ % وفى روسيا ٢% ، ولا غرابة في أن يتولد عن تلك الحركة التعليمية نهضة معرفية وفكرية أصبح لها أثرها الكبير على النهضة الأوربية والسياسية فى البلاد [191] .

كما أوفد البعثات إلى أوربا منذ ١٨٦٣م حتى بلغ عددهم ١٧٢ طالباً وأنشأ مدرسة في باريس لأعضاء البعثة التعليمية ، وأعاد ديوان

المدارس الذى ألغى فى عهد سعيد، وتعاقب على وزارة المعارف فى عهده عدد من الوزراء منهم: على مبارك (*) وإبراهيم أدهم باشا وشريف باشا ومصطفى بهجت (١٩٢) .

وقد حرصت البيوت المصرية فى عهده على تعليم أولادها فأرسلتهم إلى انجلترا وفرنسا فدرسوا الفنون والآداب الغربية وعلومها وعادوا وهم حاملين لأساليب جديدة فى الفكر والعمل، ويرى البعض أن هؤلاء كانوا يمثلون طليعة محدودة وليس تياراً عاماً لأن الأغلبية لم تنل إلا قدراً محدوداً من التعليم ، بينما نال آخرون قدراً من التعليم أهلهم فقط لشغل بعض الوظائف الإدارية والبعض تلقى تعليماً فى الأزهر والكتاتيب والفريق الأخير نال حظاً من التعليم بالقدر الذى أهله لتسيير دولاب العمل فى دواوين الحكومة وجعل منهم مجرد كتبه لا تصل بهم الأمور إلى حد الطموح (١٩٣).

وعلى العكس من ذلك يرى آخرون أن إسماعيل فتح مصر على مصراعيها للمؤثرات الغربية فانتشرت الثقافة وبالتالى الطبقة المثقفة، وارتفع عدد المدارس من ١٨٥ مدرسة عام١٨٦٢م إلى ٤٨١٧ فى عام ١٨٧٥م ، كما تأسست دار العلوم سنة ١٨٧٢م ، فكانت أول مدرسة لإعداد المعلم فى مصر، وكان خريجوها يعملون فى المدارس ويكتبون فى الصحف ويخطبون على المنابر،وكان التنوع فى التعليم يحول دون أن تصب ثقافة الأمة كلها فى قالب واحد، فهناك مدارس الإرساليات وكان يدرس فيها حوالى مائة ألف تلميذ (١٩٤)، ومدارس الأقباط التى منحها إسماعيل ٥٠٠ فدان من أجود الأراضى ورتب لها ٢٠٠ جنيه سنوياً ولم تقطع عنها إلا بعد اضطراب الأحوال المالية (١٩٥).

هناك أيضاً المدارس الأهلية وكان المثقفون أمثال محمد عبده (**) يلقون فيها الدروس تبرعاً، كذلك دعت الصحافة إلى التعليم وطالبت الحكومة والأهالى بالقضاء على الأمية ، وإن كان الوضع المالى قد أثر على سياسة التعليم ، إلا أنه استمر بفضل مجهود المثقفين الذين نادوا بأن يكون التدريس بلسان أهل البلد، كما ساهمت حركة الترجمة فى نقل

المعلومات والثقافة الغربية التى انتشرت فى مصر بالإضافة إلى مجهود الشوام فى النهوض بما ترجم من مؤلفات فرنسية، وكان لهذه النهضة العلمية فضل لا ينكر على مصر، وقد حدد الشيخ المرصفى هدف التعليم فى ثلاثة أسس: هى طهارة الأخلاق والوطنية ومعرفة كل شخص لحدود وظيفته بحيث لا يتخطاها. وهكذا اكتفى بالأساسيات التى من شأنها أن تعد مواطناً صالحاً بأسلوب داعية حريص على المصلحة العامة أكثر منه خبيراً متخصصاً (١٩٦).

وعلى أية حال فقد شكل المتعلمون بالفعل طبقة مثقفة ضمت المدرسين والمحامين والمهندسين والأطباء والموظفين فى الحكومة ورجال الفكر من الصحفيين والكتاب والأدباء ، وإلى هؤلاء يرجع الفضل فى انتقاد الأوضاع فى المجتمع وازدياد السخط والتطلع إلى الحريات المفقودة، كما لعبوا دوراً لايمكن إغفاله فى النواحى السياسية والاجتماعية (١٩٧).

ومن هؤلاء أيضاً وضع الأساس لحركة إحياء ثقافية مصرية وتكوين نخبة سياسية مصرية أصبحت على علم بما يجرى حولها فى العالم المتقدم فأصبحت بين خيارين إما أن تقاومه أو تتفاعل معه (١٩٨)، وظلت مصر تتأرجح بين العقلية العربية والغربية فينهض الفكر الحر وتنتشر النظريات العلمية، أو يسترد الماضى سلطانه وتتأثر الثقافة بكليهما ويحاول الكثيرون التوفيق بينهما لإيجاد صيغة لاندماج العقليتين لكنهم لم يصيبوا النجاح التام (١٩٩).

وعندما تم تعيين رفاعة عضواً فى قومسيون المدارس الذى يضم كبار الموظفين والأعيان والعلماء أخذ على عاتقه مهمة وضع برامج التعليم وتنظيم المكاتب الأهلية ونظارة قلم الترجمة، كما أشرف على تحرير مجلة روضة المدارس، فاعتبره الأزهريون ابنهم، والمتعلمون المدنيون أبوهم، والجالية الفرنسية أخوهم، والمصريون

مؤسس نهضتهم العلمية [٢٠٠] بينما استبعده صفران" الكاتب اليهودى " من تاريخ الفكر المصرى "؛ لأنه ذو فكر متحرر ودليل على قدرات العقل المصرى "[٢٠١].

فقد اشترك رفاعة فى ترجمة القوانين: القانون الفرنسى، والدستور العثمانى وقدم لأمته زاداً ثقافياً يختلف عما قدمه الأفغانى ومحمد عبده والكواكبى، وهو من المثقفين النادرين الذين طوعوا حضارات عصرهم لواقعهم البسيط، كما قدم ثروة فكرية تزيد عن ألفى كتاب فى أقل من أربعين عاماً كانت الأساس لبناء عصر التنوير والبعث والإحياء[٢٠٢].

ويعتبر الطهطاوى أول عين تأملت فى وعى وعمق حضارة الغرب الحديثة وحاول وصل الخيوط بين وطنه ومراكز الحضارة الحديثة وميز بين الاستفادة من فكر أوربا وبين رفض الجوانب الاستعمارية[٢٠٣]. لهذا قيل أن مصر أصبحت مثالاً مدهشاً للتقدم ، ففى خلال سبعين سنة فاقت البلاد الأخرى بما يعادل خمسمائة سنة [٢٠٤]، وفى عهد إسماعيل اقترن أيضاً اسم على مبارك بالحركة التعليمية والنهضة الفكرية ، فقد عرفت عائلته باسم المشايخ ، فتوارثت أسرته مهام الإمامة والخطابة بالإضافة إلى القضاء [٢٠٥]. وهكذا أثر انتماؤه الطبقى فى تعليمه، ثم فى تعيينه فيما بعد وكيلاً عاماً لديوان المدارس طبقاً للإرادة الخديوية فى عهد إسماعيل للإشراف على المكاتب الأميرية والأهلية فى مصر والأقاليم، والاهتمام بشئونها وطبع الكتب لرفع المستوى الثقافى لتيسير وسائل المعرفة للراغبين فيها [٢٠٦]؛ إذن كان غرض إسماعيل من التعليم هو: نشر الثقافة بين الشعب بعكس محمد على الذى كان هدفه الأول تخريج الموظفين اللازمين لتولى المهام الحكومية، والعمل فى دواوينها لخدمة أغراضه العسكرية والإقتصادية.

والحقيقة أن تاريخ البورجوازية المصرية كان مرتبطاً إرتباطاً وثيقاً باتساع التعليم في مصر الذي غذى البلاد بتلك الشريحة :ألا وهى البيروقراطية التى انتكست في عهد عباس وسعيد، ثم أخذ نموها في اضطراد نظراً لاعتماد الجهاز الحكومى عليها فكانت تمثل العداء للتغيير بحكم أنها كانت دائماً آداة النظام القائم، أياً كان هذا النظام والمدينة بالولاء لحامل الكيس [٢٠٧]. وإن صحت هذه العبارة من بعض الوجوه وهى خضوعها للحكومة، لكنها بدون شك لم تبق بلا حراك سياسى على الأقل في عصر إسماعيل حينما أصبحوا أصحاب فكر حر وبدأوا يطالبون بالمشاركة في أمور البلاد السياسية والبحث لها عن حلول لتخطى الأزمة المالية،وهكذا تأرجحت سياسة الخديوى بين الود والعداء للأفندية والمثقفين ثقافة غربية ، فعلى حين كان يقف إلى جانبهم لمساندته والبقاء على العرش سرعان ما يقلب ظهر المجن إذا تعارض ذلك مع سيادته ، وربما كان هذا سبباً في انكماش دور هؤلاء لارتباطهم بوظائفهم الحكومية وتقاضيهم للمرتبات من الخزانة،" على العكس من دور الشوام وتأثيرهم الأقوى لعدم ارتباطهم بالوظائف الحكومية "[٢٠٨].

كما اعتمد إسماعيل على الموظفين الأقباط في وظائف الدولة خاصة في الأقاليم وفى مديريات الصعيد على وجه الخصوص فقام بتعيينهم في نظارات الأقلام – رؤساء النيابة في الوقت الحاضر – وهى مناصب كان يرقى شاغلها بعد فترة إلى مناصب القضاء: مثل يوسف بك عبد الشهيد الذى عين مديراً لديوان القضايا في المنيا، وعوض الله سرور من أعيان القليوبية وكيلاً لمديرية البحيرة ثم الغربية، كما تولوا أيضاً رئاسة المصالح والنظارات حتى المعية السنية نفسها؛ إذ عين واصف باشا عزمى القبطى– رئيس الديوان الخديوى– سر تشريفاتى خديوى، كما استعان بهم إسماعيل بعد إلغاء المجالس القضائية القديمة وعين قضاة من الأقباط في المحاكم بصرف النظر عن

الـــدين، وقبلـــت المـــدارس الأميريـــة أولاد النصـــارى بنـــاء علـــى إجمـــاع مجلـــس النواب [٢٠٩] .

لكـــن فـــى عهـــد محمـــد علـــى لـــم يكـــن الأقبـــاط بحاجـــة إلـــى إجمـــاع لـــدخول المـــدارس الأميريـــة لإقبـــالهم الشـــديد عليهـــا وعـــزوفهم عـــن مـــدارس الإرســـاليات ؛ ففـــى الأولـــى يضـــمنون الوظيفـــة الحكوميـــة المدنيـــة لكـــنهم فـــى الثانية يجبرون على العمل الكنسى .

والحقيقـــة أن تعيـــين القضـــاة القـــبط فـــى المحـــاكم وقبـــول المـــدارس الأميرية لهم كـــان بدايـــة لبنـــاء مؤسســـات الدولـــة علـــى قاعـــدة المواطنـــة وأخـــذ الأســـاس المـــدنى العلمـــانى بعـــين الاعتبـــار ، وهكـــذا أصـــبح هنـــاك تغييـــر فـــى الهدف من التعلـــيم الـــذى لـــم يقتصـــر علـــى الإحاطـــة بـــالعلوم التقليديـــة وتفهمهـــا بـــل الاتجـــاه إلـــى التعلـــيم الحـــديث والنهـــل منـــه ومعرفـــة مـــدى تـــأثيره علـــى المجتمـــع والاســـتفادة مـــن اتجاهاتـــه الجديـــدة فـــى المنـــاحى المختلفـــة خاصـــة فيمـــا يتعلـــق : " بـــالأمور السياســـية وســـلطة الخـــديو والـــرقيبين وغيرهـــا مـــن مشـــاكل المـــوظفين الـــوطنيين وتفضـــيل الأجانـــب علـــيهم " [٢١٠] حتـــى بـــرزت أســـماء بعـــض المصـــلحين كالأفغـــانى ومحمـــد عبـــده وعبـــد الله النـــديم لمواجهـــة تلك المفاسد .

والخلاصة أن السياسة التعليمية المكتوبة فى عهد إسماعيل كانت تختلف عن الواقع كثيـــراً بسبب عدم قدرة الدولة على ملاحقة خيال من كان يخطط للتعليم بسبب عجزها وضـــعف إيمانها بالتعليم ومظهرية إسماعيل فى أن يواجه به الرأى العام الأوربى ، بالإضافة إلـــى مؤامرات الأرستقراطية الشركسية والإقطاعية ضد استنارة الشعب وعجز الدولة المـــالى بعد تورطها فى الديون وفوائدها وبذخ الحاكم واختلاسات المحيطين أو بسببهما معاً [٢١١].

فكر الأفندية :

كان الفكر الديني سائداً في بداية القرن التاسع عشر، ثم جاءت موجة التحديث وبدايات التعليم العلماني في عصر محمد علي، فعاش رجال الدين مشكلة الصراع بين القديم والجديد وأصبح كل ما يعنيهم من التعليم في رأي علي الدين هلال هو: " تحرير الفكر والعقل الإنساني من الأغلال والقضاء على التعصب في كل صوره وأشكاله الدينية والقومية "(٢١٢) .

والحقيقة أنه ألبس هذا العصر ثوباً غير ثوبه فإن صحت عبارته من بعض الوجوه إلا أن عهد محمد علي خلا من التعصب الديني ولم يحقق التعليم أهدافه فيما يتعلق بحرية الفكر أو حتى تحرير العقل الإنساني من أغلاله لاصطدامه بسلطة محمد علي الأوتوقراطية، كما أن استخدام لفظ " القضاء على التعصب القومي" كان سابقاً لأوانه في هذه الحقبة إلا إذا كان القصد منه العصبية التركية لبني جنسهم، ومن اللذين حملوا لواء العلم والفكر الجديد وساهموا بدور لايمكن إغفاله في هذا المجال هما: رفاعة الطهطاوي والشيخ حسين المرصفي، فالطهطاوي رائد فكر وإمام نهضة (٢١٣)، وقد وضح تأثير باريس البالغ في تفكيره ، كما أنه علق أهمية كبرى على دور الصحافة كوسيلة لنقل المعرفة والأفكار ، وشرح بإسهاب نظام الحكم البرلماني، وعلق على الدستور الفرنسي (٢١٤).

وامتازت كتابات الطهطاوي بدعوته للوطنية وكان شعاره حب الوطن من الإيمان وحاول غرسه في نفوس الشباب، حيث كان يقيس وفاء الرجل بحنينه إلى وطنه ، وقد وجد محمد علي في دعوة الطهطاوي إلى الوطنية المصرية دعماً لمركزه ومطامعه (٢١٥)، وقد أطلق على الطهطاوي أبو الفكر الوطني لأنه يرى أن الرابطة الوطنية رابطة عامة ورابطة الدين رابطة خاصة ، وعلى هذا الأساس دعا إلى التعاون بين من يجمعهم وطن واحد لتحسين أحوالهم وتحصيل المنافع وأرجع الفضل إلى محمد علي الذي أعطى حق

المواطنة للمسيحيين الداخلين فى خدمته الميرية وأحلها محل العلاقات الطائفية والدينية " (٢١٦) .

وبعد أن كان المجتمع المصرى قائماً على النظام العقائدى ذى الوجهة الدينية أخذ يقع تحت تأثير العلم والتكنولوجيا والاقتصاد وأساليب التنظيم الحديثة ، ولم يستطع محمد على أن يوقف تدفق الأفكار الغربية عن طريق المبعوثين الذين ألموا باللغات الأوربية خاصة الفرنسية ، وبالأحداث التى مرت بها أوربا خلال القرن التاسع عشر وعرفوا فولتير ومونتسكيو والإدارة المدنية التى كان لمحمد على منها موقف محدد إذ قال : لأحد المبعوثين العائدين عندما أخبره بأنه درس الإدارة المدنية " أنا الذى أحكم ... اذهب إلى القاهرة وترجم المؤلفات "، كما وضعوا تحت إشراف دقيق وصارم فى حركة الاقتباس (٢١٧) وكان هدفه هو تثقيفهم أولاً وليصبحوا من رجال السياسة فيما بعد (٢١٨).

وكان رفاعة الطهطاوى من الذين استوعبوا الفكر الفرنسى وأساليب حكمه فتحدث عن الدستور الذى يوضح حق الحاكم والمحكوم ، وشرح الليبرالية والراديكالية والعدالة السياسية ، وبين أنواع الحكم الملكى والجمهورى ، ودعا إلى حرية الفكر والرأى ، وساهم فى وضع القانون المصرى على نسق القانون الفرنسى (٢١٩) ، ونادى بالمساواة أمام القانون دون أن يتطرق إلى حكم الوالى أو ينتقد سياسته (٢٢٠)، ومن المسائل الهامة التى تطرق إليها فكر الطهطاوى حديثه عن فتح الجيش المصرى لعكا وانتصاره على الجيش العثمانى ، وقد علق على ذلك بقوله: " أنه مبعث الفخر للوطنية المصرية ضد العثمانيين " ، فهو تقييم دقيق وموضوعى لفكر الطهطاوى وموقفه من الخلافة العثمانية والوطنية فى مصر والصراع الذى دار بينهما ، وكان الهدف من وصفه لما شاهده من مؤسسات ديمقراطية فى باريس على حد تعبير محمد عمارة أن يعرف وطنه وشعبه معنى الديمقراطية أو ربما كان يدعوه

لطرق بابها " حتى يتجاوز الشرق وسائل الاستبداد والطغيان والحكم الفردى البغيض " (٢٢١).

ونحن لا نتفق مع عمارة في تلك المقولة لأن هدف الطهطاوى لم يكن المناداة بتلك الأفكار في عصر محمد على صاحب الفكر الأوتوقراطى ، بل أراد فقط عرض وإيضاح الفكر الفرنسى من خلال ترجمته لكتبهم مع يقينه بأنه لن يلق قبولاً في هذه الفترة التى عاش فيها الأفندية حالة حصر ذهنى ولم يستطيعوا التعبير عن أفكارهم بدليل عدم ذهابهم إلى بيئاتهم التى نزحوا منها ليرفعوا من مستواها بل فضلوا العمل الحكومي النظيف بدلاً من المناداة بالفكر الوطنى التحررى ، وإلى رفاعة يرجع الفضل في ظهور المقال السياسى في الصحافة والاهتمام بالأحداث الخارجية وتعيين المراسلين لجمع الأخبار من مختلف الدواوين فعرفت مصر جيلاً من المترجمين والمثقفين الذين تخرجوا من مؤسسات رفاعة الفكرية والتربوية وساهموا فى الحياة العملية (٢٢٢).

ومن فكر الطهطاوى عدم مصادرة الحريات وحق كل فرد في ممارسة حريته الشخصية وفقاً للقانون والتعبير عن رأيه السياسى بمختلف وسائل التعبير والنشر وأشار إلى أن انعدام الحريات يضر بالتطور الاجتماعي ويؤثر على تكوين المواطنين ، كما أن حق المواطنة مع وجود التعصب الجنسى من الشراكسة ضد المصريين كان من أهم المطالب الأساسية (٢٢٣).

كذلك تحدث الطهطاوى عن الشخصية الوطنية لمصر ودورها في إفريقيا والعالم العربى ، كما نبه إلى مؤامرات الاستعمار المقنعة تحت ستار السعى للإصلاح والتطور ، وفى رأيه أن القوة هى السبيل الوحيد لردع الاستعمار ، ويعد الطهطاوى أول من تحدث بمقولة " حب الوطن من الإيمان " فمصر تعد أول وطن من أوطان الدنيا يستحق أن تميل إليه قلوب بنيه وتحن إليه نفوس مفارقيه من ذويه (٢٢٤) ،

واستكمالاً لفكر الطهطاوي السياسي نجده يتحدث عن تعليم السياسة فهي ضرورة لرؤساء الدول ونظار الدواوين، "كما أنها من أسرار الحكومة الملكية التي لا يشاركهم فيها أحد مما يعود على الرعية بالفوائد الجسيمة والمصالح العمومية تنجز بسرعة لأنها منوطة بإرادة واحدة وليس بإرادات متعددة (٢٢٥)، قد تؤدى إلى البطء في التنفيذ واتخاذ القرار".

ويتضح مما سبق حجة الحكام المستبدين الذين يرون في تركيز السلطة في أيديهم تسهيلاً للمصالح وهذا يعد منافياً للديمقراطية ، وعن بشائر الفكر البورجوازى عند الطهطاوى نجده يشير بدور العناصر الجديدة من البورجوازية في سبعينات القرن التاسع عشر وكيف أنها كانت أكثر ديمقراطية وتطوراً وعلى رأسها الكوادر التي نهلت من الثقافة الفرنسية ومحاولاتها فتح الطريق أمام التطور المصرى والتخلص من النمط الإقطاعى ودفع المجتمع في طريق التطور الرأسمالي وهو المسار الطبيعي بعد انهيار الإقطاع .

وهذا يفسر أعمال سعيد ذو التفكير الحر والميول الغربية لإسماعيل الذى تعاطف مع الكوادر التي تربت في البعثات وعلى رأسها الطهطاوى الذى عني بتنمية التعليم ، والانعطاف نحو النمط الليبرالي والحصول على الدستور ، وإقامة مجلس شورى النواب ، والسعي لتدعيم استقلال مصر عن الخلافة العثمانية التي تدعم بقايا النظام الإقطاعي ، وتفتح بضعفها الباب أمام الاستعمار الأوربي (٢٢٦).

وهكذا كان الطهطاوى رائداً لفكر الطبقة البورجوازية الوليدة المناضلة في سبيل العلم والتعليم والاستنارة والتنوير وضد الزحف الأوربي وتخلف النظام العثماني في الشرق وأساليب الحكم الفردي الاستبدادي التي أخذت تتحسس طريقها لكي تضع دعائم الاستقلال الوطني واضعة نصب عينيها إزاحة بقايا الإقطاع ومعه بقايا الحكم التركي .

ومن الإصلاحيين والمفكرين الذين عدوا من رواد التحديث في مصر خلال القرن التاسع عشر الشيخ حسين المرصفي ١٨١٠م- ١٨٩٠م، فهو ينتمي إلى أسرة ذات يسار يعمل أفرادها في شئون التجارة بالإضافة إلى تعلم أفرادها في الأزهر(٢٢٧) ، وهو في ذلك يتشابه مع الطهطاوي في الروافد التي صنعت الشخصية، وفي الفكر الذي دعا إليه " فقد طرح على بساط البحث ألفاظ الوطن والأمة، والعدالة والظلم، والسياسة والحكومة، والتربية " (٢٢٨) ؛ أي أنه اهتم بالشئون السياسية أكثر منها في أي مجال آخر وبالتالي دأب على شرح معاني تلك الألفاظ(٢٢٩).

ورغم هذا لم يصب شهرة رفاعة أو محمد عبده رغم إسهامه في تحديث الفكر المصري من خلال مؤلفاته ودوره في التعليم وأثر دراسته على تلاميذه ومجتمعه، التي ترسبت في نفوسهم مشاعر الوطنية التي عبر عنها رفاعة وتلاميذه والشيخ المرصفي، فعرفت مصر جيلاً جديداً من المثقفين في أواسط القرن التاسع عشر وظهر الرأي العام اليقظ بفعل هذا الفكر الجديد والثقافة الحديثة(٢٣٠) التي تدور في فلك العلوم العقلية والنقلية والتي يمثلها الأزهروروافده التعليمية المؤدية إليه وتحدده المثل والتقاليد الدينية وبدأ المجتمع يسير بخطى وئيدة نحو اتجاه ثقافي وفكري دنيوي علماني يندرج تحته الموظفون في مؤسسات البلاد العلمية وغيرها ممن تعلموا في أوربا وخريجو المدارس وبعض المشايخ والعلماء ممن أعجبوا بالاتجاه الجديد وحاولوا الوصول إلى أصول المصطلحات والألفاظ الواردة للحصول على صيغة ثنائية أو توفيقية بين التراث الإسلامي وروح الحضارة الحديثة .

إذن كان هناك عدة اتجاهات: الاتجاه التقليدي ويمثله أصحاب الاتجاه الديني والإسلام هو الحقيقة المحورية في تفكيرهم، وكان هدفهم إبراز قدرة الدين في مواجهة التأثير الغربي (٢٣١)، والاتجاه الثاني يرى ضرورة تحديث الفكر الإسلامي بالربط بينه وبين الأفكار الحديثة ، أي بين الشوري والديمقراطية عن طريق الاحتكاك الحضاري والثقافي

(٢٣٢) ، وقد أطلق على هؤلاء " أصحاب التيار التوفيقى " لأنهم يدعون إلى التفكير الحر ، وفى نفس الوقت يفتحون باب الاجتهاد فى المسائل الدينية (٢٣٣)، فلكل منهما وظيفة يؤديها ، وهما حاجتان من حاجات البشر لا تغنى إحداها عن الأخرى (٢٣٤).

وأخيراً هناك أصحاب الاتجاه التحررى الليبرالى أو العقلانى الذى تأثر بالفكر الأوربى وثقافته ، وكان هدفهم إنشاء مجتمع مماثل للمجتمعات الأوربية لتحديث المجتمع عن طريق الاقتباس منهم ونقل مؤسساتهم وأكدوا على دور العلم وحرية البحث والاجتهاد (٢٣٥)، ورغم اشتغال المرصفى بالتعليم والثقافة واتسام أسلوبه وفكره بسمات المستنيرين فلم يقبع فى معسكر المحافظين رغم نشأته فى الأزهر بل تعلم اللغة الفرنسية واطلع على الثقافة الفرنسية والتراث الأوربى فى مجال الفكر السياسى مما جعله يدعو إلى استمرار حركة الترجمة للإفادة من هذا الفكر ، وبذلك نجده يسير على نفس خطى الطهطاوى ، كما أنه انشغل بقضية تحديث المجتمع وتمدينه بما يوائمه ، فكان كتابه خلاصة لأفكاره السياسية والوطنية .

والحقيقة أن وعيه بأهمية الفكر الجديد والإفادة منه كلها أمور تضعه فى مصاف رواد التجديد المستنيرين بالنسبة لعصره ، أى أنه كان ملتزماً بتيار فكرى متحرر لكنه " مقيد وملتزم " ، (٢٣٦) وهذا يؤكد عزوف المرصفى عن الخوض فى المسائل السياسية ، وبهذا صحت مقولة بونابرت فيهم " من أنهم متعصبون لكنهم هيابون " والدليل على ذلك هو عدم معارضتهم لحكم محمد على الفردى ، وقد اهتم المرصفى فى كتاباته بطائفة الجباة ، باعتبارهم " من طوائف الحكومة " ، وحديثه عنهم كان استجابة لتجنيد الجهاز الإدارى المصرى لحل الأزمة المالية، فهم سفراء بين الرعية والرعاة ، ولولا وساطتهم لضاعت الحقوق وناشدهم بمخاطبة الناس باللطف(٢٣٧).

وهـذا الفكـر لـم يكـن متواجـداً فـى عهـد محمـد علـى ؛ إذ كانـت مهمـة المـوظفين الأتـراك ومـن بعـدهم المصـريين ، هـو الاجتهـاد فـى جمـع الضـرائب ولأخـذها بـالقوة مـن الفلاحـين ، بـل ازداد التشـدد مـن المـآمير المصـريين الـذين كـانوا يعرفـون وسـائل تهـرب الفلاحـين لأنهـم أدرى بهـا عن غيرهم (٢٣٨) ، كمـا أنـه تجاهـل عامـل الـدين فـى بنـاء القوميـة ، وربمـا كان يشير عـن غيـر قصـد إلـى المفهـوم العلمـانى للدولـة ، كمـا تحـدث عـن نشـأة الحكومـة ومهامهـا واتصـالها بـالمفهوم الإسـلامى حـول الأمـر بالمعروف والنهـى عـن المنكـر مـع ضـرورة تجـددها لتكـون أعمالهـا مطابقـة للأحـوال الحاضـرة وأشـار إلـى أن أسـاليب التربيـة وتوجيـه الـرأى العـام تكمن فـى المـدارس والمجـالس والصـحف، أمـا فيمـا يتعلـق بالأمـة فقـد ميـز بين أمة مصرية وأمة حجازيـة ولـم يشـر إلـى أمـة عربيـة ولـم يسـتخدم لفـظ العرب إلا للتعبيـر عـن البـدو ، أمـا فكـرة الـوطن فقـد قـيض لهـا أن تنتصـر وتلقـى رواجـاً فـى مصـر علـى ألسـنة المثقفـين والكتـاب بعـد نمـو الحركـة الوطنيـة ورفـع شـعار مصـر للمصـريين فـى مواجهـة الضـغط والتغلغـل الأجنبى (٢٣٩)، وبعـد نمـو المـدن وتأثيرهـا فـى تنشـيط الحركـة السياسـية فـى العقـدين الأخيـرين مـن القـرن التاسـع عشـر (٢٤٠) ، وبالتـالي زيـادة عـدد المصـريين المهتمـين بالشـئون السياسـية وتطـور حجـم المدنيـة ومـا صـحبه من نمو الـرأى العـام المصـرى وزيـادة تـأثيره بفعـل العوامـل المختلفـة التـى أثرت على الأفندية .

العوامل المؤثرة على فكر الأفندية :

أ – الصحافة :

أدرك إسـماعيل منـذ توليـة السـلطة فـى ١٨٦٣م أهميـة الصـحافة التـى تخاطـب الـرأى العـام مباشـرة والـدفاع عـن قضـايا مصـر وسياسـته الخاصـة ، فـاهتم بتشـجيعها والانفـاق عليهـا وشـراء ذمـم أصـحابها فـى صراعه مـع البـاب العـالى وغيـره مـن الـدول فـدفع لأبـى السـعود صـاحب

جريدة وادى النيل إعانة لأنها كانت لسان حاله فى مواجهة جريدة الجوائب التى أنشأها السلطان فى إسطنبول وأسند رئاستها إلى أحمد فارس الشدياق التى تخصصت فى مهاجمة إسماعيل ، ثم فى مواجهة عرابى والثورة العرابية فيما بعد .

وإلى جانب وادى النيل أنشأ المويلحى ومحمد عثمان جلال فى عام ١٨٦٩م مجلة نزهة الأفكار التى توسعت فى حرية الرأى إلى حد أن شاهين باشا وزير الحربية أبدى للخديو إسماعيل تخوفه من إثارتها للخواطر وإيقاظ الفتن (٢٤١).

أما جريدة أبو نظارة ليعقوب صنوع فقد تعرضت لمساوئ الخديو ، كذلك لعب السوريون واللبنانيون دوراً هاماً فى الصحافة المصرية كأديب إسحق الذى أصدر جريدتى مصر والتجارة وكتب عن الوطن والحرية والحقوق والواجبات (٢٤٢).

ومن خلال جريدته بث الأفغانى مبادئه فانتقد السلطة الاستبدادية بعناصرها المختلفة التى تستغل الأفراد ووصمها بالرجعية والظلم ، ثم نادى بالإصلاح وضرورة انتخاب رجال يقظين ملمين بأمور الدولة ومتخصصين فى آداء المصالح ، ثم وجه نصيحته للإنسان الشرقى قائلاً : " أنت صاحب الأمر والنهى فإذا كانت الحكومة رحيمة فعليك بها والقيام بشأنها وحفظ واجباتها ، لكنكم الفتم الظلم ولا تقدرون على الدرء والدفع والمنع "(٢٤٣) .

كذلك تناولت تلك الجريدة أحوال مصر واستخدام الأوربيين فى الوظائف بحجة أنهم أدق وأعرف بأساليب الإدارة والنظام وما ترتب على ذلك من تأثير سئ فى نفوس الموظفين المصريين(٢٤٤) .

وقد دفع هذا الموقف عدداً من الضباط ومستخدمى الجهادية إلى عرض هذه المشكلة على مجلس النظار يستنكرون فيها ضيق المعايش

وتأخر المرتبات والاستغناء عنهم والاستعانة بالأجانب بمرتبات عالية ، رغم توفر ضباط الجهادية وهم من أرباب المعارف القادرين على النهوض بتلك الوظائف الملكية والمراكز وغيرها من الأشغال الإدارية والهندسية [٢٤٥] .

كذلك تناولت الجريدة موضوعاً آخر على قدر كبير من الأهمية وهو محاولة رياض باشا فض مجلس شورى النواب فرفض النواب ذلك احتراماً لمن أنابوهم عنهم كعبد السلام المويلحى ومحمود بك العطار من الوجهاء ونائب الإسكندرية عبد الرازق الشوربجى ونواب آخرين ، وقد حث كاتب المقالة نواب الأمة على " دخول الشورى من أبوابها لمعالجة قضايا الأمة والتدقيق فى لائحة الانتخاب " [٢٤٦]، وفى أعداد متتالية لجريدة مصر وتحت عناوين مختلفة ركزت الجريدة على تغيير نظام الدولة وجعله شورى وإيجاد وزارة مسئولة " ولا يصبح للأمير قوة أو حكم إلا بموافقة الأمة والحكومة الشورية " [٢٤٧]، على أن ينظر مجلس الوزراء فى جميع أمور البلاد ويكون الحكم للأغلبية [٢٤٨] ، أما رئيس الوزراء فيشترط أن يكون وطنياً محباً للوطن وغيوراً على مصالح الأمة ، وللمجلس نفس حقوق مجالس أوربا الشورية ، وتم اختيار شريف باشا رئيساً للنظار.

كذلك تناولت جريدة الوقائع المصرية بعض الأفكار السياسية التى تدور حول اشتراك الرعية فى الحكم وتشكيل مجلس شورى النواب واهتمام المويلحى بالمساواة فى الحقوق تمشياً مع التيار التوفيقى ونظر النظار فى أموره المالية والأشغال الداخلية ودعوة النواب للتداول معهم حفظاً لحقوق الرعية ومصلحة الحكومة [٢٤٩] .

و قام الطهطاوي من خلال الوقائع بتعليم وتثقيف أبناء الشرق ومفكرى مصر، وساهم تلاميذه معه فى هذا المجال، وجعل اللغة العربية اللغة الأصلية للوقائع ، وقام بتغذيتها بالأخبار المصرية

والأحداث الخارجية، كما قام بدوره الثقافي في رحاب مجلة روضة المدارس التي أنشأها تلميذه علي مبارك في عهد إسماعيل ١٨٧٠م، كذلك فتحت المجلة صفحاتها للنابهين من الطلبة لنشر مقالاتهم وبحوثهم .[٢٥٠] وأصبحت من بين عناوين الوقائع مقالات عن الوطن والوطنية ونوّه النديم إلى ضرورة حماية حقوق المواطنين من قبل الهيئة الحاكمة التي تعددت مفاسدها ، فناداها بضرورة إقامة العدل والحق وحث المواطنين على إصلاح الخلل والاسترشاد بعقلاء الأمة[٢٥١] فهاجموا سطوة التقاليد على العقل الإنساني وأكدوا دور العلم وحرية البحث والاجتهاد [٢٥٢]، ومن هؤلاء فرح أنطون الذى أصدر مجلة الجامعة العثمانية التي ركزت على الفكر الفرنسي العقلاني، ودعا أنطون لدولة علمانية يعيش فيها كل المواطنين في إطار من المساواة بغض النظر عن معتقداتهم الدينية وأن ترعى الدولة الحرية والمساواة بين الجميع وأكد على فصل الدين عن الدولة لتأكيد الاحترام المتبادل بين الديانات ، كما أكد على قيمة الحرية لأنها جزء لا يتجزأ من الحقيقة الإنسانية كحرية الفكر والتفكير.

أما مجلة المقتطف فتتفق مع سابقتها في ضرورة إقامة الدولة العلمانية على أساس علمي وحضاري وهو متطلب أساسي للتقدم [٢٥٣]، كذلك نجحت جريدة الوطن وهي منبر من منابر المعارضة السياسية في مصر(وكان صاحبها ميخائيل عبد السيد أحد تلامذة الأفغاني) في إيجاد رأى عام مصري مناوئ للتدخل الأجنبي، كما حذرت من خطره على بلدان الشرق ثم ازدادت نبراتها حدة في انتقاد السياسة الأمبريالية منذ منتصف عام ١٨٧٨م حينما ضيقت الدول الأوربية الخناق على إسماعيل فأطلق لها العنان [٢٥٤].

ومن الموضوعات الشائكة التي تناولتها هي :توقف ماهيات الموظفين المصريين بينما كثر استخدام الأوربيين مع المغالاة في

مرتباتهم ونادت بضرورة المحافظة على حقوق الأهالى فبها تقوى الحكومة (٢٥٥) لأن تأدية الوظائف بأمانة مرتبط بصرف المرتبات وعدم تأخيرها والعكس يؤدى إلى عدم كفاءة العمل الحكومى وانتشار الاختلاسات، لهذا نادت بضرورة كفاية الماهيات لصغار الموظفين "المأمورين" (٢٥٦)، كما تناولت الجريدة موقف الحكومة من عزل ورفت الضباط بعد أن أبلوا بلاءاً حسناً فى المعارك مما عرضها للخسائر الفادحة، ثم ناشدت الصحيفة مجلس الوزراء، وشورى النواب بالنظر فى تلك القضية بعين العدل فلو كانوا من الأجانب لما أمكن خلعهم إلا بعد تغريم الحكومة (٢٥٧)، ثم أوردت جريدة الوطن خبر انعقاد المجلس الذى حضره مندوبون عن الأمة واستقروا على تأليف لائحة تتضمن : جعل الإدارة فى أيدى الوطنيين وتعهدهم بتسديد الديون وإعطاء الأهالى حق انتخاب مجلس النواب، وقبل الخديو لائحة الأمة واعترف بحقها فى تولية وعزل الحكام ، فاتخذوا من هذا اليوم عيداً للوطنية والحرية وفى نفس الوقت وجهت كل من انجلترا وفرنسا للخديو إنذاراً بالعدول عن خطته وإلا طلب من الباب العالى النظر فى أمره (٢٥٨) ، وفى هذا الإنذار تلويح من القوى الأوربية بعزل الخديو من قبل السلطان العثمانى ، كما جاء فى نفس الجريدة بتاريخ لاحق أن الخديو أحال لمجلس النواب حفظ الأمن فى الوطن وأصبح شريف باشا رئيساً للوزراء ، ثم جاء إخطار رسمى من إدارة المطبوعات موجه للصحافة يفيدها بأن الغرض من انتشار تلك الأخبار هو تنوير الأفكار والأذهان ، ومراعاة مقتضى وظائفهم وتجنب نشر ما يثير أى اضطراب أو قلق قد يؤدى إلى بلبلة الرأى والفكر المصرى (٢٥٩) .

كما حرصت الجريدة على إبراز رأى التايمز فى الحالة الجديدة فى مصر فذكرت أن الدولتين لا تنويان القيام بحركة ضد مصر بعد عزل الوزيرين الأجنبيين بقدر ما ترغب فى تحسين الأحوال

وإدخال التمدن ولا تريد التدخل للانتقام ، بل سينتقمان بواسطة السلطان الذى من صلاحياته إلغاء فرمان الوراثة [٢٦٠] ، فقد أوعزت كل من بريطانيا وفرنسا إلى السلطان بعزل إسماعيل وتولية ابنه توفيق لأنه أكثر طواعية للأجانب من والده، والحقيقة أن الأجانب لم يكونوا صادقين فى ادعاءاتهم بتحسين أحوال البلاد وإدخال التمدن ؛ لأنهم استمروا فى رفت الكتبة والمستخدمين الوطنيين " الذين قضوا أعمارهم فى المصالح الميرية والدواوين " ، حتى أصبحت عملية شائعة وقد بلغ عدد هؤلاء ٤٠٠ شخص ، وتم فتح سجل لتقييد أسمائهم لإحلالهم فى وظائف أخرى [٢٦١].

وعلى الجانب الآخر نجد حكومتى انجلترا وفرنسا ترسلان محرراً سياسياً إلى الخديو تلحا به عليه لإرجاع الوزيرين الأوربيين فى الحكومة لعدم موافقتها على جعل الوزراء من الوطنيين بل ضرورة تواجد النفوذ الأوربى [٢٦٢]، وتمضى جريدة الوطن فى عرض الحالة السيئة التى أصابت المستخدمين والكتبة بسبب تأخر مرتباتهم وانتشار الخلل فى المصالح الأميرية ، وقد اتخذت الدولتان من ذلك ذريعة لخلع الخديو والمجئ بابنه بحجة إصلاح الأحوال ومواجهة الصعوبات التى تعرض لها إسماعيل وعجز عن إصلاحها رغم خبرته ، ثم تساءلت هل يستطيع توفيق معالجتها رغم صغر سنه وعدم كفاءته وإحاطته بأصحاب " النفوذ الردئ " [٢٦٣] .

والخلاصة أن الربع الأخير من القرن التاسع عشر شهد ظهور الصحافة الحرة ممثلة فى العديد منها بالإضافة إلى ما سبق ذكره، ولم تكن تخضع لسيطرة الحكومة أو تمويل من الخديو كمرآة الشرق فى القاهرة ، والأهرام والتجارة ومصر الفتاة فى الإسكندرية واهتمت تلك المجلات والجرائد بالقضايا السياسية والاجتماعية وناقشت العديد من المسائل الداخلية ، وحذرت من ازدياد التدخل الأجنبى فى شئون مصر

[٢٦٤]، ويقال أن عهد إسماعيل هو عهد الميلاد الحقيقي للصحافة المصرية المملوكة للأفراد ، وقد بلغ عدد الصحف التي صدرت في عهده منذ ١٨٦٣م : ١٨٧٩م بمختلف اللغات أربعين صحيفة منها ٢٣ صحيفة عربية ، وكانت تصدر إما بتشجيعه أو بتشجيع أعدائه ولاسيما تركيا وانجلترا ويرجع ازدهار الصحافة في عهد إسماعيل إلى أنه لم يكن هناك أحزاب سياسية يمكن أن تعبر عن مختلف الاتجاهات والمصالح وتستقطب الجماهير لتجعل من الرأى العام قوة ضاغطة على الحاكم ؛ لهذا حلت هنا الصحيفة محل الحزب السياسى أو نواته .

ومن أسباب ازدهار الصحافة أيضاً تبنى إسماعيل للاجئين السياسيين من المثقفين والكتاب الشوام الذين هاجروا إلى مصر كجزء من سياسته العامة لمناوأة الباب العالى والتعبير عن استقلال الإرادة المصرية فأنشئت جريدة الأهرام سنة ١٨٧٥م ، وأدى نشوب الحرب بين تركيا وروسيا سنة ١٨٧٧م إلى انقسام صحف مصر والرأى العام المصرى إلى فريقين : فريق يناصر الباب العالى صاحب السيادة الرسمية على مصر وفريق يجاهر بعداء الباب العالى ،ويعلن شماتته فيما يحل به من هزائم ،وقد ترك الخديو إسماعيل الصحافة المعادية لتركيا لتعبر عن موقفها بحرية تامة بوحى من سياسته الاستقلالية ، فساعد ذلك على استقطاب الفكر حول مبدأ استقلال مصر ، أو ما كان يسمى يومئذ " مصر للمصريين ".

والواقع أن القضيتين اللتين شغلتا بهما الصحافة المصرية فى عهد إسماعيل هما : قضية استقلال مصر عن تركيا وقضية الديمقراطية، وبالفعل أدت الصحافة دوراً خطيراً فى الدعوة لتقويض سياسة الباب العالى على مصر وفى مؤازرة الخديو إسماعيل فى مواقفه ضد الباب العالى وفى بلورة فكرة مصر للمصريين [٢٦٥].

كذلك نددت الصحافة بالتدخل الأوربي في أوج تأليف وزارة نوبار والمطالبة بالدستور والحياة النيابية ١٨٧٨م ومبدأ فصل السلطات ومسئولية الوزارة أمام البرلمان والتنديد بسوء تصرفات إسماعيل المالية،فكان مع الصحافة حينما تقف معه في مواجهة الباب العالي أو الضغط الأوربي وينقلب عليها ويصبح ضدها كلما طالبته بالديمقراطية فيصادرها ويعطلها (٢٦٦).

وقد قيل أن المثقفين بجناحيهما المدني والعسكري عندما تعرضوا لمساوئ المجتمع عبروا عما لحق بهم في تلك المؤسسات الثقافية التي أعطتهم الفرصة للتعبير عن فكرهم سواء عن طريق الصحافة أو الجمعيات التي كانت بمثابة التنظيمات التي بلورت الرأي العام وأظهرت الأفكار الجديدة التي تضمنت ضرورة تطبيق وممارسة الحياة النيابية والقضاء على النفوذ الأجنبي (٢٦٧).

وليس غريباً أن تتعرض تلك الصحف إما للمصادرة أو الإنذار بغلقها ، فقد عطلت جريدة مرآة الشرق، وانذرت جريدة التجارة ومصر لنشرها المقالات غير المعتدلة واتهمت بأنها تخدش الأذهان ، ثم عطلت تعطيلاً نهائياً لإصرارها على المعارضة ونشر المقالات الحماسية ، وانتقاد سياسة الحكومة ، كذلك عطلت تعطيلاً نهائياً جريدة مصر الفتاة لنشرها مقالات وأخباراً عدتها الحكومة مهيجة للخواطر والأفكار (٢٦٨) ، كما عطلت أيضاً جريدة أبو نظارة والقاهرة والشرق لمنع دخولها القطر المصري ، وانذرت جريدة الإسكندرية ، ثم عطلت شهراً ، كذلك عطلت جريدة المحروسة لمدة خمسة عشر يوماً (٢٦٩)، كما انسحب هذا التعطيل على الصحف الأوربية كجريدة الريفورم التي أغلقت مطبعتها بحجة أنها تنشر مقالات مثيرة للأفكار (٢٧٠).

إذن كانت صحف المعارضة بما تبثه من أفكار وتبرم بنظام الحكم والتطلع إلى الحرية والدستور وما لقيته من الاضطهاد ، كل ذلك

كان من الأسباب الممهدة للثورة والمحرضة عليها ، كما كان لها أثرها القوى فى ترقية الأفكار وتفتيح الأذهان والتبصير بالحقائق وإحراج الحكومة ، وكان اضطهادها يكسبها حب الناس ويزيدهم تعلقاً بها وتأييداً لآرائها وأفكارها الحرة [٢٧١].

ويمكننا أن نجمل المعارك السياسية والاجتماعية والفكرية التى خاضتها الصحافة فى عصر إسماعيل فيما يلى :

- الإطاحة بالخديوي لأنه جر على مصر الخراب المالى لأنه نموذج للحاكم المستبد .

- ضرورة وضع دستور للبلاد وإقامة حكم ديمقراطى ممثل فى الحكم النيابى واحترام الحريات العامة والخاصة .

- بث الروح القومية المصرية ، أو ما كان يسمى وقتئذ مصر للمصريين ، وكانت الصحافة التى قوضت عرش إسماعيل هى التى بذرت بذور الثورة العرابية [٢٧٢].

ب - الترجمة :

ومن المؤثرات الأخرى التى ساهمت فى تغيير المجتمع هى : حركة الترجمة؛ مما أدى إلى نشوء نخبة ثقافية ذات تعليم حديث متطور ، صاحبها نظرة جديدة لدراسة المشاكل التى تواجه المجتمع حتى صارت تلك الأعوام حبلى بالأفكار والآراء التى وضع خلالها الأساس للفكر السياسى المصرى الحديث ، فساعدت الترجمة والطباعة على نشر الأفكار بين القراء مما أدى إلى ظهور أفكار جديدة مثل الحرية والاستقلال والحكم الدستورى والإصلاح وأصبح المثقفون على درجة كبيرة من الوعي بوضع مجتمعهم ومدى ملائمة الأفكار الغربية كأداة للإصلاح [٢٧٣]، كما كانت اللغة من متطلبات المعرفة ، فإذا أتقنت كانت من زخائر المعرفة كالمبادئ الوطنية والديمقراطية والعلمانية[٢٧٤].

جـ -التنظيمات شبه السياسية :

ومن المؤثرات الأخرى فى الحياة السياسية المصرية ظهور بعض التنظيمات شبه السياسية كجمعية حلوان وجمعية مصر الفتاة والحزب الوطنى الحر، وكان الأفغانى هو الروح المحركة وراء أكثر هذه الجماعات التى شكلت بدايات التجمعات الحزبية فى مصر ، وكانت الجرائد التى صدرت فى هذه الفترة بمثابة المنابر الرسمية أو شبه الرسمية لهذه التجمعات التى كانت تغذيها بالمال لتعبر عن آرائها .

جمعية مصر الفتاة:

تشكلت فى أواخر عهد إسماعيل ، وكان معظم أعضائها من الشبان المسيحيين الشوام واليهود المتمتعين بحمايات الدول الأوربية ومن أبناء العائلات الغنية بالثغر – الإسكندرية – بالإضافة إلى الأوربيين واليونانيين والعثمانيين والبعض ممن جاءوا من الأناضول وكثير من الشرقيين ، وكان أديب إسحق وسليم نقاش من قادتها ، ثم انضم إليهم عبد الله النديم ، وقد جمعت هذه المجموعة بين أفكار وآراء الحزب الوطنى وحزب مصر الفتاة ولم ينضم إليها أحد من أبناء مصر؛ لأنه لم يخطر ببالهم أن يفوضوا أمرهم إلى هؤلاء المغتربين فالقادر على حكم مصر فى تصورهم هو : " الحزب الوطنى المؤلف من الفلاحين أو ممن يعملون لصالح مصر "[٢٧٥].

وقد حدد حزب مصر الفتاة برنامجه فى الدفاع عن الوطن ، وبث آراء الحرية ، ولما كان الخديو ووزراؤه غير مدربين على أمور السياسة والحكم، فإنه رأى الكفاءة فى حزبه وقدرته على الإصلاح ، فتمنت له جريدة الوطن النجاح [٢٧٦]، ثم سارت مصر الفتاة فى نهاية عصر إسماعيل على درب الأفغانى فأيدت فكرة خلع إسماعيل وتولية توفيق ، ثم عدلت عن تأييده بعد خضوعه التام للأجانب، ولم تستمر

الجمعية طويلاً في مزاولة نشاطها السرى، فأعلنت عن نفسها ، وشكلت وفداً لمقابلة الخديو توفيق، وطالبته بإصلاح أحوال البلاد، وأبدوا استعدادهم للعمل تحت قيادته من أجل مصر (٢٧٧)بعد أن ساءت أحوالها بسبب الحكم المطلق ، وعدم وجود برلمان منتخب، وتدهور أحوال الموظفين (٢٧٨) .

وكانت مطالبهم تعكس الأفكار الليبرالية ذات التأثير الواضح على شريحة المثقفين المنتمين إلى البورجوازية المصرية ، واقترحت لائحة الإصلاح : تحديد سلطات رئيس الحكومة وتوزيع السلطات إلى : تنفيذية وتشريعية وقضائية ، وتحقيق المساواة أمام القانون وفي تولى الوظائف وعبء الضرائب وحماية الحريات الشخصية والأديان والمطبوعات ، وقصر عضوية مجلس النواب على المصريين بحكم التوطين أو الجنسية وكفالة حق الانتخاب لجميع المواطنين .

وركزت الجمعية في جريدتها على الإصلاح السياسي ووجهت نقداً لاذعاً لاستبداد رياض باشا ، مما دفع الحكومة إلى منعها من الصدور ١٨٧٨م (*) ، وكان هذا آخر نشاط علني قامت به جمعية مصر الفتاة ؛ إذ طاردت السلطة أعضاءها وقامت بنفي قادتها بتهمة الترويج والدعاية للأمير عبد الحليم بن محمد على المطالب بالخديوية (٢٧٩).

الحزب الوطني :

أشرف الأفغاني على جمعية مصر الفتاة السرية بالإسكندرية عند تكوينها وبمساعدته كونت حزباً أطلق عليه حزب مصر الفتاة ، وقد ساهم الأفغاني في بلورة الرأى العام السكندرى بمساعدة شبابها المثقف الذى كان يحضر خطبه ، وعندما خشي على دعوته من إسماعيل والأجانب عمل على تأليف المحفل الماسوني بالإسكندرية الذى أصبح ملتقى المثقفين وعلماء الأزهر ، كما انضم إليه ضباط الجيش وأعضاء

مجلس شورى النواب ، وكان توفيق " ولى العهد وقتئذ " مشتركاً فيه ، وقد تباحثوا فى الأمور السياسية والحكومية ، مما أوجد رابطة من التضامن بين أعضائه.

وأسفرت هذه اللقاءات عن ظهور الحزب الوطني . واقترنت الحركة الماسونية بالحركة الوطنية التى انتشرت بين المسلمين واليهود والمسيحيين بفضل الأفغانى الذى وحد عناصر الأمة ، وهكذا تخطت الحركة الوطنية فى مصر الحاجز الطائفى وطالب الجميع بالحرية والمساواة وتفضيل نظام الشورى فى الحكم ، وأصبحت مدرسة الأفغانى تمثل " المدرسة الدستورية صاحبة المبادئ الحرة " (٢٨٠)، فخير صفات الحاكم فى نظره القوة والعدل ، ومن رأيه أن الحكم الجمهورى لا يصلح للشرق (٢٨١) ، ومن حق الشعب المطالبة بمجلس نيابى، " فإذا حصل عليه بجهده كان أجدر به وحافظ عليه، ولم تستطع سلطة ما أن تلغيه أو تهملـه "، وكان محبو الأفغانى يرون فيه وطنياً كبيراً وخصومه مهيجاً خطيراً (٢٨٢) .

وقد تحدثت جريدة الوطن عن الحزب الوطنى المصرى الذى أطلق عليه الحزب الملى وأشادت بأفكاره الصائبه وضرورة النظر فيها وإقرارها طالما أنها " خالية من التعدى والتخريب والتعصب "(٢٨٣) ، وعندما علم الأفغانى أن إسماعيل سوف يخلع ، كشف عن مقاصده السياسية وظهر بحزبه الجديد المسمى " بالحزب الوطنى الحر " مع مطلع عام ١٨٧٩م ، والذى اتخذ من عبارة "مصر للمصريين" شعاراً له ضد العناصر الأخرى التابعة للدولة العثمانية والذين انفردوا بالحكم فى الوظائف الكبيرة (٢٨٤) .

وقد ضم الحزب بعض المثقفين الليبراليين والإسلاميين وبعض عناصر الجيش الذين مهدوا الطريق لثورة عرابى (٢٨٥)، الذين فوضوا الأفغانى بضرورة مقابلة قنصل فرنسا ومكاتب التايمز والحديث معهما

عن رغبة حزبه في الإصلاح على يد توفيق قاصداً بذلك خلع إسماعيل ، وأعرب عن خوفه من امتناع الخديو عن التنازل ، ثم استقر الرأى على التزام السكينة حرصاً على حقوق ولى العهد ، وترك لعبد السلام المويلحى إعلام مراسل التايمز بآراء الحزب الوطنى الذى انضم إليه كل من محمد عبده، وعبد الله النديم، وحسن الشريعى، وغيرهم ، وكان الأفغانى ينفق عليهم من ماله الخاص.

ويشتمل برنامج الحزب على عدة بنود أهمها : المحافظة على العلاقات الودية بين الحكومة المصرية والباب العالى دون إلغاء الفرمانات التى تمنح مصر استقلالها الإدارى والخضوع للخديو طالما يحكم بالشورى وضرورة خضوع الأجانب لقانون البلاد ، ودفع الضرائب ، وتعميم التعليم ونشر الثقافة وحرية المطبوعات، وإطلاق الحريات السياسية [٢٨٦] ،ونادى الحزب بمقاومة الظلم سواء من قبل الأجانب أو الخديو وعهدوا إلى العسكريين بتنفيذ مطالبهم فهم حراس الأمة والقوة الوحيدة فى البلاد ، وعلى هذا الأساس طالبوا بزيادة عدد الجيش [٢٨٧] .

وهكذا يتضح لنا شمول برنامج الحزب الوطنى الذى يجمع بين حرصه على بقاء الرابطة الإسلامية بين الدولة العثمانية ومصر ، والمحافظة على وضع مصر القانونى المتميز رغم تبعيتها للدولة العثمانية ، والتمسك بالحكم القائم شريطة المحافظة على حقوق الشعب مع عدم تفضيل الأجانب وخضوعهم لقوانين البلاد .

والخلاصة أن الحزب الوطنى- الذى ذاع صيته فى تلك الحقبة التى علا فيها مد المعارضة السياسية الموجهة ضد السيطرة الأجنبية والسلطة الأوتوقراطية باعتباره القيادة السياسية لتلك الحركة – لا يعنى أن ثمة تنظيماً حزبياً حمل هذا الاسم وعبر عن طبقة اجتماعية بعينها أو أن هناك نظاماً معيناً لتسلسل القيادات داخل التنظيم ، ولكن كانت تلك التسمية تنسحب على تجمع القوى المعارضة فهى أقرب إلى الجبهة الوطنية منها إلى الحزب السياسى فتجمعت لتحمى مصالحها مستفيدة من

حاجة الخديوي إلى مساندتها أو ليحصل القطاع الوطنى منها – الأعيان والتجار – على حقهم فى أن يكون لهم صوت مسموع فى تقرير أمور البلاد وإيجاد دستور يقيد السلطة الأوتوقراطية (٢٨٨).

وقد ساهم الحزب العسكرى (*) في تلك الجبهة الوطنية وحمل لواء النضال الثورى فى ١٨٨١م وانضمت إليه القوى الوطنية الأخرى التى عبرت عن نفسها من خلال الحزب الوطنى الحر أو تجمع الأرستقراطية كأعضاء جمعية حلوان والمثقفين ذوى الاتجاهات الليبرالية كجمعية مصر الفتاة، لتتكون من ذلك كله جبهة وطنية بزعامة الضباط المصريين الوطنيين الذين أطلقوا على أنفسهم اسم الحزب الوطنى ، واستخدمت الصحافة والخطابة لحشد الجماهير وأصبح عرابى متحدثاً باسمها بعد أن حصل على توقيعات أعيان البلاد وأنابته الأمة للمطالبة بحقوقها والدفاع عن مصالحها الوطنية . وحددت الجبهة الوطنية مطالبها السياسية فى العريضة التى تقدم بها الجيش فى التاسع من سبتمبر ١٨٨١م ، والذى عرف ببرنامج الحزب الوطنى المصرى (٢٨٩) . ويقال أن العناصر القليلة المخلصة والمثقفة التى حاولت أن تلعب من خلال هذه الأحزاب دوراً إيجابياً تقدمياً بمعيار عصرها ، قد تحطمت تحت أقدام الرجعية السياسية والاجتماعية المسيطرة ولاذت بعزلة رهيبة داخل الإطار المحدود للمثقفين(٢٩٠).

– ومن المؤثرات الأخرى على الأفندية الجمعية الخيرية الإسلامية التى نادت بتعليم جديد يختلف عن النمط السائد فى المدارس الحكومية وهو : بث الروح الوطنية والشعور القومى فى الأمة وتمرين الطلبة على الخطابة والصحافة والتبصير بالمسألة المصرية والديون الأجنبية، كما نادت بالإصلاح السياسى والاجتماعى ، وكان رئيسها عباس حلمى ولى العهد ونائبه النديم الذى حاول بث الروح القومية فى البلاد ومقاومة الأجانب (٢٩١) .

هناك أيضاً جمعية الشبيبة المصرية التى دعت إلى إنشاء بنك قومى وطنى لإنقاذ مصر من الاستبداد الأجنبى ، ثم جاء النديم ليجعل من تلك الجمعيات الشعلة المتقدة للثورة العرابية ، وأعلن أنها تعمل من أجل منفعة الوطن السياسية بعيداً عن الأمور السياسية ، كما فعل محمد عبده نفس الشئ مع جمعية القاهرة للمقاصد الخيرية التى أعطت رئاستها أيضاً لولى العهد عباس حلمى ونيابتها للبارودى واقتصرت فوائدها على التربية والتعليم وإنشاء المكاتب والمدارس(٢٩٢)؛ إذن كان دور الجمعيات هو بلورة الرأى العام ومحاولة الحث على مقاومة الوجود الأجنبى ، وإن كانت تحمل بين طياتها النشاط الثقافى والاجتماعى ، كالاهتمام بالتعليم وتشجيعه وجعله مجانياً ، وقد أسفر كل ذلك عن تغيير عميق فى نظرة المثقفين فانصرفوا إلى دراسة المجتمع وماهية الدولة والسياسة (٢٩٣).

وشنت صحيفة التنكيت والتبكيت فى يونيو ١٨٨١م هجومها على التدخل الأجنبى ، ونادت بحق الشعب فى حكم نفسه، ودعت إلى تمصير الحكم والجيش المصرى ، وبعد ٩ سبتمبر ١٨٨١م، تغير اسم التنكيت والتبكيت إلى اسم الطائف ، وأصبحت الجريدة الرسمية للثورة (٢٩٤) ولسان حالها ، وقد عبر النديم فى الطائف عن آراء النواب وضرورة الإصلاح عن طريق الحكم النيابى (٢٩٥) ، وكان شغل الجريدة الشاغل هو : تناول الموضوعات السياسية التى أساسها الذود عن الأمة والمدافعة عن حقوق حكومتها التوفيقية ضد من يرميها بسوء من الجرائد العربية والأجنبية ومهاجمة الامتيازات الأجنبية ، إلا أن توفيق كان يرى أن الكارثة التى أوقعها بمصر عصر محمد على وإبراهيم وسعيد وإسماعيل هى ظهور الفكرة القومية التى قوت فى المصريين الرغبة فى الاستقلال والخروج عن الإطار العثمانى ؛ لهذا أعلن الباب العالى أنه عدو للفكرة القومية ومؤمن بالجامعة الدينية وأنه سيحاول

استئصال الفكرة القومية عند المصريين والقضاء على كل نزعة نحو الاستقلال وإعادة مصر إلى حظيرة الخلافة العثمانية ، وكان ذلك مطلباً تركياً ، وكذلك البطش بحرية الصحافة في مصر ، وهذين المطلبين كانا استجابة لآراء توفيق وسلوكه ، فأصدر قانون المطبوعات في ٢٦ نوفمبر ١٨٨١م لتقييد حرية الصحافة وإنذار الصحف وتعطيلها ، ثم إلغائها نهائياً [٢٩٦] .

- من المؤثرات السياسية أيضاً - على ظهور الحركات الوطنية لدى المثقفين - حركة الجامعة الإسلامية لبعث الوعى القومي والفكرى في مصر والتي مهدت لظهور الثورة العرابية بالإضافة إلى العوامل الخاصة الناجمة عن التذمر من ازدياد النفوذ الأجنبي وامتيازاتهم ، وتخصيص موارد البلاد لصالح الدائنين[٢٩٧]. لهذا شارك الموظفون الجميع في شعورهم لمواجهة سلطة الرقيبين ، واتساع نفوذ الموظفين الأوربيين في دور الحكومة ، وزيادة أعدادهم وتميزهم بالمرتبات الضخمة ، مما زاد من استياء الموظفين الوطنيين[٢٩٨].

وبالإضافة إلى ما سبق ، فقد تم تأسيس بعض الجمعيات الإصلاحية على أيدى المثقفين ، وقد ضمت بين ثناياها المنتسبين إلى المدارس الليلية والعاملين في الجامع الأزهر والشباب ذوى الاستقامة الذين لم يكن همهم سوى سلامة الوطن، بالإضافة إلى الصالونات الديمقراطية التي كانت تعقد في أماكن متفرقة وتضم رجال الأزهر إلى جانب الشاعر والكاتب والأديب والعالم ، وجميعهم يتحدثون في أمور السياسة ، وتخرج منها التأييدات للثورة [٢٩٩]، وبذلك تغلغل تأثير المثقفين ليعلن تأييده للثورة .

وأخيراً لا يمكن أن نغفل دور محمد عبده في تحرير الفكر من قيد التقاليد بحيث لا يخضع العقل إلا للبرهان، ولا يتحكم فيه زعماء الدين أو الدنيا، ومحاولة التوفيق بين الحضارة الأوربية والإسلامية،

فلكل دور يؤديه، وخطأ ربط الدين بالسياسة، وهكذا تجلى فكره في: الإصلاح الديني واللغوي والسياسي ، كما نادى في جريدة الوقائع بالحرية ، ورفع الظلم ، وإقرار القانون ، وسار على هذا المنوال حتى قامت الثورة العرابية (٣٠٠)، كما أشار بوجوب الشورى وأوضح الهدف من القوانين ، فإن لم تحقق هدفها أصبحت " مجرد أعباء على كاهل الناس، وتوسيعاً لدائرة المفاسد والمظالم " .

كذلك ربط محمد عبده بين قضيتي الحرية والقومية قائلاً : " لا وطن إلا مع الحرية " ، كما طرح فكرة حرية العقيدة لتأكيد الوحدة الوطنية لتحل محل فكرة الدولة ذات الدين الواحد ، فاختفت مظاهر الكراهية والتعصب الديني ، واعتنقت قيادة الثورة العرابية ومفكريها فكراً متحرراً مجرداً من التعصب أو الكراهية الدينية (٣٠١) .

وقد جمعت جريدة الوقائع الرسمية مبادئه الوطنية ومذاهبه في الحرية وطريقته في الإصلاح (٣٠٢) ، وفي رأيه : " أنه ليس من الحكمة إعطاء الرعية ما لم تستعد له ، بل لابد من تعويد الأهالي على البحث في المصالح العامة ، واستشارتهم في الأمر بمجالس خاصة تنشأ في المديريات والمحافظات " ، كما كان له وجهة نظر في مطالبة القوة العسكرية بحقوق الأمة ، فهو يرى أن: قيامهم بهذا الدور يعد غير مشروع " لأن الأمة لو كانت مستعدة لمشاركة الحكومة في إدارة شئونها ، ما كانت طلبت من العسكريين ذلك " ، وخشي من أن " يجر هذا على البلاد احتلالاً أجنبياً يسجل على مسببه اللعنة إلى يوم القيامة "(٣٠٣).

كذلك كان لدروس الأفغاني أثرها في رجال الأزهر ونمو الفكرة الوطنية " فأخذت البلاد تغلي بثورة فكرية بسبب فساد الحكم حتى فكروا في عزل الحكام أو حتى قتلهم " (٣٠٤) وفي رأيه أن الطريق الوحيد للإصلاح الإجتماعي والسياسي هو الثورة. ومن تعاليمه وأفكاره

" طارت الشرارة الأولى للثورة العرابية فاستيقظت المشاعر وتنبهت العقول وخف حجاب الغفلة في أنحاء متعددة من البلاد ، خاصة القاهرة "[٣٠٥] ، و حدث نفس الشيء لطلبة العلم والعلماء والموظفين [٣٠٦] ، كما أنه بذر بذور اليقظة والمعارضة في مجلس النواب على يد بعض نوابه ، كالمويلحى وأخيه إبراهيم[٣٠٧].

الأفندية وموقفهم من الثورة العرابية :

كانت الثورة العرابية استمراراً للحركة السياسية التي أشعل فتيلها جمال الدين الأفغاني في عهد إسماعيل[٣٠٨]؛ إذ نجح في تربية جيل من الكتاب قاموا بنشر مقالاتهم في الوقائع المصرية عن أخطاء الحكام الذين لا يوقفهم إلا نصح الأمة لهم بالقول والفعل، وكانت مقولته الشهيرة :" هبوا من غفلتكم أصحوا من سكرتكم " وهي التي ألقت النقاب فتطاير شررها فاشتعلت الثورة العرابية [٣٠٩]، وقد شارك فيها عناصر متعددة شملت القوى الفكرية والعسكرية وأيدها التقليديون والمصلحون، وكان الأزهريون في طليعة دعاتهم[٣١٠] لأنهم أفتوا بشرعيتها، وقدم الأعيان ما يدعم القوات العسكرية وطالب ضباط البوليس بحقوقهم ورواتبهم، وحذا حذوهم العسكريون البحريون[٣١١].

وقد جاءت الثورة العرابية لتؤكد إصرار الشعب على تأكيد التغيير ومعها مجموعة من الموظفين والمهنيين والمثقفين، ويؤكد صفران: أن الثورة العرابية والتحول عن المفاهيم العثمانية واعتناق الأفكار الجديدة ، هو المسئول عن الانهيار الذى منيت به الحكومة المصرية في أواخر عهد إسماعيل، وهدم الأساس الأيدلوجي "العثماني" التقليدى كأساس للجماعة السياسية والثورة ضد النظم السياسية والأفكار الغربية، ثم استطرد قائلاً: " إن الثورة العرابية كانت تطالب بمزيد من القيود على الحاكم العثماني المطلق وإقامة الجماعة السياسية في إطار النموذج الذى تحدث عنه الطهطاوى ومدرسته "[٣١٢].

ويقال أن : الخديو لم يؤيد العسكريين فى مقاومة التدخل الأجنبى لانتشار شائعة تفيد بأن هناك حركة سرية لإقامة مملكة عربية فى مصر على أسس من الدستور والحكم النيابى (٣١٢) ، والحقيقة أنه لا يكفى فقط وجود نظام سياسى ودستور تحدده القوانين واللوائح وإدخال العلم والتكنولوجيا فى مختلف مناحى الحياة ، بل لابد من اختيار الفكر الذى يتناسب مع طبيعة العصر ويتسم بالوطنية والتقدمية والانتشار بين الشعب حتى يتم مواجهة معوقات التطور.

وهكذا أصبح هناك ضرورة ملحة لثورة إصلاحية بزعامة عرابى تضم العناصر المستنيرة والحرة فى مصر للتحرر من الدسائس الأجنبية والرجعيين المقيمين فى مصر ، وقد تكون المثقفون المصريون من ثلاث فئات هم: موظفو الحكومة ، وممثلو التيار الليبرالى العائدين من البعثات، وممثلو التيار الدينى المتحرر الذين تمركزوا فى الأزهر ، وقد عمل الجزء الأكبر من هؤلاء فى جهاز الحكومة ، بينما توزع الباقون فى أنشطة ذات طبيعة فكرية خاصة مثل : التدريس والتأليف والصحافة ، والسؤال الذى يجدر طرحه فى هذا المجال هو : ما هى الظروف الاجتماعية التى دفعت بالمثقفين إلى جبهة الثورة ، وما هى معطياتهم الفكرية وتفاصيل حركتهم السياسية ؟

- تزايد عدد المصريين المتخرجين من المدارس المحلية والعائدين من البعثات الذين بدأوا يأخذون مواقعهم فى جهاز الدولة ، إلا أنهم حرموا من قيادة الجهاز الإدارى المدنى الذى كان يضم الأرناؤود والجراكسة أو الأرمن المورالية وفى الوقت الذى تسلل إليه الأجانب، وتقاسم الأتراك والجراكسة معهم تلك المناصب قبع المصريون فى أسفل درجات الجهاز الحكومى ، بينما احتل السوريون الذين برزت فيهم المهارات الفنية والمهنية الخاصة القيادات الوسطى فى الجهاز الحكومى .

- وكان على الموظفين المصريين الرابضين فى أسفل درجات السلم الوظيفى أن يتحملوا نتائج السياسة الأوتوقراطية الواقعة فى براثن

الاستغلال الأوربى، وتأخر مرتباتهم لخلو الخزانة بسبب الديون الأجنبية ، كما أن عزلهم من وظائفهم كان يخضع لنزوات ولى الأمر ، مما جعل الموظفين يمارسون عمليات الابتزاز ضد الفلاحين لجمع أكبر قدر ممكن من المال من خلال تواجدهم فى وظائفهم قبل أن تضيع منهم .

– أما صغار الموظفين فاكتفوا بالرشاوى الصغيرة ، ثم تدهورت حالتهم إلى الأسوأ بعد قطع مرتباتهم فى صيف ١٨٧٨م ، مما هددهم بالمجاعة لارتفاع الأسعار وانتشار الغلاء ، وكان محمد أفندى نموذجاً للحركة الساخطة ، فقد تولى قلم الترجمة بوزارة المالية ، وحرر عريضة تتضمن الطعن والتنديد بالإدارة المالية ، وكانت إذ ذاك إدارة أوربية ، فحكم عليه بالفصل من الخدمة والحبس سنتين بمعرفة المجلس العسكرى (٣١٤).

وقد تعاطف عرابى مع الموظفين المرفوتين فحينما تم رفت حسن أفندى إبراهيم ناظر ثانى غفر السواحل ببورسعيد ومعه جميع مستخدمى المصلحة وهم من الوطنيين البالغ عددهم أربعة وأربعون شخصاً ، قرر مكاتبة محافظة بورسعيد لإبقائهم فى وظائفهم جميعاً (٣١٥) ، كذلك تعرض إسماعيل أفندى جودت للنفى ثلاث سنوات " لتأييده لحزب عرابى ومساعدته له ضد الحضرة الخديوية، وسعيه للإفساد وتشويش الأفكار واشتراكه فى المجالس والمحافل الوطنية، وانتسابه للحزب لعدة سنوات "(٣١٦).

والحقيقة أن كثرة المفاسد كانت سبباً فى تأييد الأفندية للعرابيين ضد سلطة الخديو المستبدة والمستفزة وضد طمع كل قوة فى الاستيلاء على البلاد لوجود قناة السويس وتوظف الرجال فى غير مواضعهم فاختلت الأمور الداخلية ، وتعددت الأحزاب وتشعبت الأفكار، فهناك من مال للخديو الحاكم ، ومنهم من تمنى عودة والده إسماعيل، وآخرين فضلوا ضياع الملك من هذا البيت (٣١٧) .

كذلك شارك القضاة في مساندة عرابي وقد وجه إلى أحمد النجار " قاضي فارسكور الشرعي" تهمة العصيان ومساندة العسكريين، وتم تحرير محضر من قبل أكثر من أربعين عمدة ذكروا فيه أنه قام بالتردد على العصاة وتحريض الأهالي وتعليمهم حمل السلاح لمساندة العرابيين في ثورتهم وتقديم ما يلزمهم من مساعدات ، وبناء على تلك التهم تم رفته ومعه عشرين آخرين من الخدمات الميرية مع تحديد إقامتهم " تحت مراقبة ضبطياتهم "، كما تعاون معه نقيب أشراف دمياط وبدأ في دفع الإعانات للعرابيين الذين خاضوا حرباً دينية ضد الطغيان الداخلي والخارجي (٣١٨) .

وأخيراً تم نفي قاضي فارسكور بناء على التهم الموجهة إليه رغم أنه أكد على إخلاصه وخضوعه للحضرة الخديوية وبقائه في خدمة الحكومة السنية لمدة عام وعمله بالتدريس والتأليف في علم الشريعة (٣١٩)، وربما صرح بذلك ليتخلص من تلك العقوبة التي كادت تودي بحياته الوظيفية ومركزه الاجتماعي ، ورغم كل هذا تم سجنه للخصومة المعروفة بينه وبين مأمور المركز .

ومن الأفندية الذين أيدوا الثورة العرابية حسن الشمسي(*) محرر جريدة المفيد والسفير ومعاون ديوان المعارف، وكانت التهمة الموجهة إليه هي: مناصرة العرابيين ونشر الأخبار المهيجة للأفكار في جرناليه والمجالس التي كان يرتادها لإثارة الناس ضد الإنجليز والحط من قدر الخديو وعائلته "لانفصاله عن حزب الأمة وانضمامه إلى أعدائها " ،ففقد احترامهم وأصبح مكروهاً من الأهالي والعساكر بما فيهم" المستحفظين " رجال البوليس .

كذلك نسب إليه السب في الذات الخديوية في العدد الرابع من السفير وقد ألقى تبعة المسئولية في ورود تلك العبارات على مدير المطبوعات على رفعت بك الذي كان يمده بالجرائد الأوربية وعليها

تأشيرته بقلمه ليقوم بنقلها ونشرها في جرائده ، وعندما سئل الأخير عن ذلك أنكر مسئوليته وألقى بالمسئولية على الشمسي ، كذلك قامت جريدته بنشر دعاية ضد سياسة الإنجليز الاستعمارية بشتى صورها وبث هذه الأفكار في مراكز الجيش، ونادى بضرورة الدفاع عن الوطن وختم على ذلك البرنسات وشيخ الإسلام والعمد، وهكذا أصبحت الأوضاع مهيأة لمقاومة التدخل الأجنبي ، " وكان الشمسي ممن وافقوا على اتخاذ هذا الموقف " (٣٢٠).

هناك أيضاً مصطفى أفندى ثاقب " صاحب امتياز جريدة المفيد " التي استخدمها في تشويش الأذهان وإثارة الهياج بين التلاميذ بمقالاته التي بثها في جريدته فغرس في قلوبهم البغض والنفور من حكومة " الحضرة الخديوية " والميل إلى " العصاة " والتعصب لهم، وقد أخذ عليه تعهداً مكتوباً " بعدم ترك مكان إقامته وبقائه تحت ملاحظة الضبطية على أن يكون حسن السير والسلوك "(٣٢١).

أما أحمد بك رفعت رئيس قلم المطبوعات فقد كيلت إليه التهم : لانتمائه وولائه لحزب العصاة والعمل على إنجاح الثورة ، وتحريره للمكاتبات المضاده لعلى مبارك لخيانته لبلده " وانتصاره للإنجليز وعدائه لحزب العصاة " ، واستخدام عبارات التهييج التي تلقى في الجمعيات بحضور عبد الله النديم فنفى استخدامه أو سماعه لتلك العبارات (**) ، وأظهر ميله إلى الرابطة الإسلامية وتحمس للوطنية المصرية .

ولكل ما سبق اعتبر من العصاة الخارجين عن الطاعة والمعضدين للحزب الوطني وأول المهيجين للناس لاشتراكه معهم في مذبحة الإسكندرية في ١١ يونيو ١٨٨٢م وإجبار ألوف الشباب والشيوخ على الدخول في سلك الجهادية دون تدريب مسبق ولكونه كاتب وكاتم أسرار العرابيين ومراسلاً لجميع الجرائد ، فقد اهتم بنشر الخطب والقصائد

والمقالات التى تحفز الثائرين ، كما مهد سبل المخابرة مع الأستانة بتحريره للمكاتبات التركية بحكم وظيفته ككاتب سر مجلس النظار ومدير أعمال العرابيين [٣٢٢] .

لهذا وجه إليه اللوم لموافقته على نشر عبارات القدح والذم فى حق الخديو، وكان من واجبه كرئيس لقلم المطبوعات عدم السماح بنشرها ، وقد دافع عن نفسه بقوله: أنه التزم بعد ورود إفادة إليه من الجهادية بعدم نشر أى شيء فى الجرائد إلا بعد الاطلاع عليه، كما امتنع عن نشر أى أخبار تؤدى إلى التعصب الدينى أو الطعن الشخصى، وعندما كتب الشمسى مقالة من هذا القبيل حذّر وفصل من المفيد.

و عطلت الفسطاط لنفس السبب وبذلك لم يقصر فى مهامه، كما شارك المجلس العام المنعقد بالداخلية فى الاتجاه العام الذى يقضى بمخالفة الخديو للشرع،كما أنه رفض تسليم محاضر مجلس النظار الأصلية إلى الخديو وأبدى استعداده لتقديم صورة طبق الأصل بسبب تحذير عرابى له من تسليمها للحضرة الخديوية " للزومها وقت التحقيق " وقيل أيضاً: أنه قام بتوقيع أوراق بإمضائه وأختام المجلس العرفى وهى خاصة بضرورة إخبار الأستانة أولاً بأول عما يدور من أحداث خاصة بواقعة كفر الدوار [٣٢٣]، .

وأخيراً وفى زمن الحرب اتخذ من بعض الجرائد المحلية كجريدة المفيد آلة يودع فيها جملاً طنانة يمليها على سعد أفندى زغلول المعاون بالداخلية، والذى كان له باع طويل فى تهييج الأفكار وإثارة الفتن والتحريض على التصدى لسلطة الخديوى.

وممن عملوا مع أحمد رفعت فى قلم المطبوعات : رضوان أفندى وهو مترجم تركى تم استجوابه للتأكد عما إذا كان رئيسه قد بعث رسالة إلى الجرائد للمدافعة عن حقوق الأمة أم لا، والتى ذكر فيها: أن عرابى

لم يكن وحده هو المدافع عن الأمة، بل كان معه معشر المصريين البالغ عددهم خمسة ملايين، فنفى معرفته بذلك واعترف فقط بأن رفعت كان من كبار العصاة (٣٢٤).

ومن الذين ساعدوا عرابى أيضاً: على أفندى العمرى "وهو معاون مرفوت من مديرية القليوبية"، وقد وجه إليه تهمة التردد على عرابى فى مواقع الجيش وحض الأهالى على مساعدته بالمال ورفض حكم الأتراك والمناداة بتولية عرابى ومنع عودة الأوربيين إلى الحكم؛ لهذا كله عد من العصاة لأنه لم ينكر التهم الموجهة إليه، بل رأى من الطبيعى أن يقدم عامة الناس المساعدات لقوات عرابى، ولم يكن هذا خافياً على الحكام، وأخيراً تم رفته من وظيفته وأرسل بذلك إفادة إلى مديرية القليوبية فى١٥ محرم ١٢٩٩هـ (٣٢٥).

كذلك وجه الاتهام إلى أحمد أفندى حامد المهندس بالمنيا الذى قدم للمحاكمة لاشتراكه مع عرابى ويعد أول موظف من موظفى الحكومة المحبين لحزبه لتجاور بلديهما فى الشرقية، وقد ترك وظيفته لمساعدته، ولم يدخر وسعاً فى ضم العديد من مختلف المهن إليه وحض الناس على التبرع والتطوع لمناصرته هو وأعوانه من الباشوات والعسكريين، كما ندد بعلى مبارك وسلطان باشا لإخلاصهم للخديو ولإقامتهم بالإسكندرية، فالأول يملك الأموال التى تساعد المحاربين، والثانى لديه الغلال التى تمد العساكر بالغذاء؛ لهذا حرر محضراً لمعاقبته بالسجن لما يقرب من شهرين ونصف وتم رفته من وظيفته وكان ذلك منذ ١٧ ذى القعدة ١٢٩٩هـ : ٢٣محرم ١٣٠٠هـ، وقد وجه إليه اللوم وتم التساؤل: كيف يتصرف أحد تلامذة المدارس على هذا النحو ؟ ويعيب فى الذات الخديوية "وهو الذى تربى على طرف الميرى" (٣٢٦) غير أنه لم يعر لذلك التفاتاً وكان يفتخر بأن اتجاهه هو نتاج تعليمه فى المدارس.

ومن الموظفين المصريين الذين وجهت إليهم عبارات اللوم والرفت من وظيفتهم، ثم السجن " بسبب التحريض للوقوف مع عرابى" هم: محمد أفندى ناظر قلم ترجمة المالية لتفوهه بعبارات فى حق المالية، ثم صدر الأمر بعد ذلك بالعفو عنه وربط معاش له [٣٢٧]، وكان هناك آخران لم يتم رفتهما أو سجنهما، بل اكتفى بالإفراج عنهما بضمان عدم تدخلهما فى الأمور السياسية ، كما حدث بالنسبة لكل من : حسين أفندى صقر وسعد زغلول بناء على ما رآه حضرة النائب العمومى ؛ إذ أن وكيلهما "المسيو فنجرى" قد أبدى استعداده لتقديم الضمانات اللازمة عنهما [٣٢٨] .

ومن الذين اتهموا أيضاً فى الثورة العرابية على أفندى شادى،حيث كان يساعد "العصاة" ويمدهم بالخيول والجمال، كما حرض بعض العربان على التوجه إلى ساحة القتال وجهز كشفاً بستين شخصاً من المخلصين وتوجه إلى عرابى بالتل الكبير تمهيداً لحشدهم إلى خط النار[٣٢٩]، كما وجه لعلى أفندى تهمة التحريض على القتال لأنه أذاع بين الناس " أن عرابى على الحق، فهو والى البر، ونادى بطرد الخديو لأنه من حزب الإنجليز، وعندما سئل عن تردده على التل الكبير، أفاد بأنه حضر لشراء بعض الأطيان من الميرى[٣٣٠] ، فنفى بذلك اتصاله بعرابى.

هناك أيضاً على أفندى المكاوى وهو من أعضاء مجلس النواب الذى وجهت إليهم التهم بسبب تمجيده لعرابى، وإفهامه للناس بأن المجلس مصمم على عدم قبول الميزانية ما لم يقرها المجلس، ولكونه مأمور تسهيل الطلبات العسكرية بمركز الابراهيمية، فقد تفرغ لتلك المهمة تفرغاً تاماً باستخدامه لكل الوسائل كالتخويف والإرهاب والإجبار والتهديد، وكان أول من قام بفتح باب التبرع ليقتدى به الناس[٣٣١].

ومن أعضاء مجلس النواب الذين أيدوا عرابى قلباً وقالباً كل من: أحمد محمود إبراهيم الوكيل،وأحمد محمود عمدة الرحمانية، وفهمى أبو عمر الذين قدموا إليه كل ما يحتاجه من أموال وأبدان، كما أيده مدير الشرقية أحمد بك ناشد، ومدير الفيوم السابق يعقوب بك صبرى (٣٣٢)، كذلك وجهت التهم لكل من : أحمد بسيم مهندس، وأحمد صبحى وكيل مديرية إسنا، وحسن وصفى باشمهندس المديرية، والشيخ محمد أحمد النجار نائب محكمة المديرية ،" باعتبارهم مسئولين عن العصيان وهيجان الأهالى ونصرة عرابى " وإمداده بالغلال، وتقاعس الوكيل عن منع الأهالى من الطواف فى الشوارع ودق الطبول، واعتبار ذلك واجب قومى لنصرة عرابى، وقد تعاطف معهم ثمانين شخصاً عدولاً من المشايخ والعمد من أهالى إسنا ونفوا ما أسند إليهم من تهم (٣٣٣) ، ومن الذين ساندوا الثورة العرابية أيضاً : عبد الرحمن فهمى ناظر محطة المنيا ، فهو وطنى حر قام بتشهيل طلبات العسكريين عن طريق الحض على التبرع بالرجال والمال ، وإلقاء الخطب والمقالات التحريضية للتبصير بحقوق الوطنيين ، وتأييد عرابى ضد الخديو، ولهذا صدر أمراً بنقله لانتمائه للحزب الوطنى الحر (حزب عرابى)، فتوسط له إسماعيل بك رأفت مدير المنيا معضداً بإمضاءات العلماء والأعيان ومستخدمى المديرية وغيرهم لدى نظارة الجهادية وقدم التماساً لبقائه فى وظيفته ، وقد كلل مسعاه بالنجاح(٣٣٤).

<u>المثقفون الأزهريون ودورهم فى الثورة :</u>

لم يكن كل الأفندية مشايعين للثورة ، فقد انقسموا إلى فريقين : فريق معادى بحكم وظائفه وما حققه من ثروة ومناصب لتعامله مع الأسرة الحاكمة، وعلى رأسهم على باشا مبارك، وفريق آخر، رغم تعلمه على نفقة الحكومة إلا أنه كان من الرافضين للسلطة المستبدة المتمثلة فى حكم الخديو والدول الأجنبية ، ومشايعاً للعرابيين والحركة الوطنية، ومن هؤلاء: مصطفى أفندى واصف وهو خوجة بالمدارس "مدرس" ، وكان يقوم بتشويش

أذهان التلاميذ بالمقالات التى تغرس فى قلوبهم البغض والنفور من حكومة الخديو وتوجيههم للميل إلى العصاة، وقد أخذ عليه تعهد كتابى بعدم مغادرة محل إقامته إلا بإذن الحكومة (٣٣٥).

ومن المدرسين الأزهريين الذين تم استجوابهم " لاتحادهم مع العصاة " الشيخ أحمد العبدى، ووجهت إليه تهمة تدخله فى السياسة، رغم أنها ليست من اختصاصه بل من اختصاص الحكومة، وسئل عما إذا كان قد قدم المساعدات للعرابيين أم لا ، ثم توجهه لمقابلة درويش باشا مندوب الدولة العلية حينما حضر إلى مصر فلم ينكر ؛ إذ كان مدركاً لخطورة الأحداث ووجود المراكب الإنجليزية فى مياه الإسكندرية، وأجاب بأن استيلاء الأجانب على البلاد مسألة تتعلق بالدين وتستلزم عدم السكوت، ولهذا اعتبر من العصاة ومشوشى أذهان الأهالى(٣٣٦).

ومن الأشخاص المعلومين للعموم: الشيخ أحمد عبد الغنى ويعمل مدرساً بالأزهر، وقد شارك فى مساعدة العصاة وإلقاء الخطب والمقالات المهيجة فى المجامع والمحافل العمومية والخصوصية والقدح فى حق الخديو، "حتى نجحوا فى إفساد الأذهان والأفكار وتم استجوابه فى٢٦ محرم ١٣٠٠هـ ووجهت إليه تهمة السب فى الذات الخديوية وحثه على الحرب لأسباب وهمية "!!، ونفى أنه ختم على فتوى أو محاضر بعزل الخديو أو مقابلة درويش باشا، وقد وجه إليه اللوم على قصيدته التى كتبها فى مدح عرابى، وبعد استجوابه أعيد إلى السجن، ثم أفرج عنه بالضمان بناءاً على إفادة من الداخلية (٣٣٧) .

ولا يمكننا إنكار الدور الأساسى الذى قام به الشيخ محمد عبده فى تشجيع العرابيين فليس خافياً " اتحاده مع رؤساء العصاة " وإعانتهم، فكان يشحن جريدة الوقائع المصرية بأفكاره المساندة لعرابى وصحبه ، بالإضافة إلى حضوره فى جمعياتهم السرية وتلقينهم للخطب و اتفاقه مع

محمود سامى البارودى أن يكونوا يداً واحدة فى محاربة الإنجليز وحلفوا اليمين على ذلك [٣٣٨]، وقد تم استدعاؤه للاستفسار منه عما تم فى هذا الخصوص فأوضح أنهم لم يعلموا كيفية حلف اليمين وطلبوا منه أن يتولى هذا الأمر ، فأبدى موافقته على أن يكون أساس اليمين، ألا يخونوا وطنهم ويحافظوا على القانون العسكرى، ولا يغشون أحداً من أهل بلادهم، " ومن يخالف ذلك تشق بطنه ويقطع قطعاً ويلقى فى البحر"، وأصبح عرابى وأتباعه لا يتحركون إلا بإرادته واتخذوه واسطة عقدهم وفهرست كتبهم يرجعون إليه فى جميع أمورهم، فكان " بسماركهم فى السياسة، وأرسطوهم فى الفلسفة "، وقد اعتمد فى مراسلاته مع عرابى والمحاضر التى كانوا يحررونها ضد الخديو على كل من : سعد أفندى زغلول، وأخيه فتح الله زغلول التلميذ بمدرسة الإدارة، والشيخ عبد الكريم سلمان ومحمد خليل وغيرهم من محررى الوقائع المصرية[٣٣٩]، وإلى جانب مشايخ الأزهر والمدرسين الذين ساندوا الثورة وأيدوها، بالتهديدات والاحتجاجات اليومية من المساجد ضد رياض باشا وعلى مبارك وإنذارهم لهما بسفك دمائهما إن لم يخرجا من مصر، واعتراضهم على قانون التصفية، ومشاركتهم بإمضاءاتهم فى حركة الرفض[٣٤٠]، فقد ساعدهم أيضاً فى هذا الاتجاه السيد حسن موسى العقاد ، وتضمنت منشوراته الطعن فى سياسة الخديو إسماعيل وإهماله لمصالح الشعب ، واستخدامه للأجانب وقد عبر عن ذلك بقوله: " إذا وقعت منهم الإعانة تضمنون لهم تبديل أحكام القرآن وفصل السياسة عن الدين "، وختم المنشور قائلاً : " اتق الله يا مولانا ولا تسفه أحلام الأمة التى رضيت بقضاء الله وصبرت على رياستكم "[٣٤١] ، كذلك أيد طلاب البعثات والعائدون منها، الثورة، بالإضافة إلى المعتنقين للمبادئ الحرة وقد أمدتنا وثائق الثورة العرابية بفيض من المعلومات القيمة التى تناولت دور طلاب البعثات وتعاطفهم مع الثورة العرابية ومنهم محمد توفيق[*] ومحمد فتحى، وهما من تلاميذ البعثة

المصرية بباريس، وقد تم سجنهما بالإسكندرية لما نسب إليهما من عدم الاستقامة والتهييج، ولذلك تم استدعائهما من باريس بناء على خطاب مرسل من ناظر المعارف العمومية بالقاهرة إلى مدير البعثة المصرية في فرنسا، وكانت التهم الموجهة إليهما: هي بذر بذور الفوضى بين أعضاء البعثة، وإثارة الاضطرابات، وحث الطلبة على الاشتغال بالسياسة، كما اتهما بالتطرف لعدم خضوعهما للنظام، واستخدام كلمة عرابي على أنه صديق حميم وتوقيع العرائض وإخضاع بعض الشبان لأفكارهما بحيث أصبح من الصعب بقائهما بين طلاب البعثات، فأوجب كل هذا إرسالهما إلى مصر وضرورة مراقبتهما مراقبة جيدة (٣٤٢) ، خاصة أنهما ذكرا في أسباب رجوعهما إلى مصر أنهما يرغبان في محاربة الإنجليز (٣٤٣) .

وقد صرح رئيس البعثة في فرنسا أن هذين الطالبين لكبر سنهما كانا من المفروض أن يصبحا قدوة لزملائهما ، وعندما تعثر تحقيق ذلك من وجهة النظر الفرنسية رؤى عودتهما إلى مصر وقد تظلم الطالب محمد فتحي من استبعاده ورفقته لأنه كان لديه رغبة شديدة في تحصيل العلم لخدمة وطنه وحمايته من الاوربيين " الذين اشاعوا أن المسلمين يريدون ذبح الاوربيين " (٣٤٤) .

وقد استاء محمد فتحي من قرار ترحيله ووصفه بعدم العدالة وإضعاف العزيمة لعدم النظر في قضيته بعين العدل ، مما قد يتسبب في ضياع مستقبله (٣٤٥)، وإذا كان هذا الخطاب يتسم بالاقتضاب فقد أرفقه بخطاب آخر أكثر تفصيلاً أوضح فيه الهدف من سفره إلى البعثة وموقفه من الجيش وعدة أمور هامة أخرى نجملها فيما يلي :

- ضرورة مكابدة الأهوال للحصول علي حرية الفكر والتمدن، والأخذ بأسباب الثورة ، و بث المعارف ونشرها والتصميم علي النصر والاتحاد لمواجهة الأنجليز " خاصة من قبل الذين ذاقوا طعم الحرية

وكرهوا الاستبداد حين وقف نائب الجيش المصري ومحامي الوطنيين والأمة المصرية في عابدين و أجيبت طلباته " و قد نوه محمد فتحي في رسالته إلي أن معظم الطلبة الذين أوفدوا لدراسة الطب كانوا قد أتموا دراساتهم في مدرسة القصر العيني وسبقت لهم تقديم الخدمات الأميرية الوطنية لمدد مختلفة وهم علي أتم استعداد لتقديم خدماتهم الوطنية إذا ماصدرت إليهم الأوامر فالجيش المصري أحق منهم بالأموال التي تنفق علي " الرسالة " أى البعثة و ختم رسالته بالدعاء لنصرة الجيش .

و **الخلاصة** أنه كان متخوفاً من التعرض لبطش الأجانب، فطالب بلزوم المحافظة علي أرواح طلبة البعثات بعد أن استخدمت الجرائد الأمريكية وغيرها من الصحف الأوربية عبارات التحرش والتحريض ضد المصريين بحجة مناداة بعض الطلبة المصريين بقتل الأوربيين عندما " أرتكبت حوادث العصيان "، وهؤلاء الطلبة هم: صالح صبحي، و أمين بدر، بالإضافة إلي طالب آخر يدعي محمد نجدي كان قد أرسل علي نفقة والده مصطفي بك النجدي الذى شاهد أحد الفرنسيين وهو يخطب في أحد المقاهى بضرورة الانتقام من المصريين [٣٤٦].

ولم يكن من المنطقي محاكمة هؤلاء الطلاب أمام القومسيون الذي تنحصر اختصاصاته في السرقات والقتل والنهب ؛ لهذا طلب من نظارة الحقانية معرفة الجهة المختصة لإجراء التحقيقات المطلوبة [٣٤٧] ، وقد صدرت الأوامر فيما بعد بعدم رفت أي موظف إلا بعد " المخابرة مع ديوان الجهادية وإعادة المرفوتين والمعتقلين ".

كذلك ناصر مجلس النواب الموظفين حين أخذ في صرف استحقاقاته.

وبدأ الأتراك والأجانب يتركون وظائفهم ويرحلوا عن مصر، ومن الذين شاركوا أيضاً في الثورة و أمدوها بالمواد الغذائية : البيطريين والصيادلة، كما أثار موظفوا البريد حماس المجاهدين على أرض المعركة وأمدوهم بما يلزمهم، كما ترك عدد من شباب الأفندية وظائفهم للالتحاق بالمجاهدين وتبرعوا من مرتباتهم لإعانة المهاجرين ومعهم عدد كبير من الأقباط وأصحاب المعاشات والقضاه ، بالإضافة إلى المشاركة الروحية عن طريق الأدعية (٣٤٨).

و إذا اعتبرنا أن الأزهر بؤرة من بؤر التفجر الثورى فذلك: لأنه أمد التعليم المدني بأغلب احتياجاته، كما جاور به عدد لا بأس به من موظفى الدولة صغاراً وكباراً و تأثروا ببيئته، كما صبت أزمات المجتمع المصرى نفسها في قلب الأزهر، فغضب من استنزاف ثروة البلاد، وفرض الضرائب، ومنافسة الأجانب في الوظائف (٣٤٩)، فتغلغل تأثير مثقفيه إلى داخل البيوت.

وأخيراً يمكن اعتبار الثورة العرابية من أهم العوامل التي أدت إلى تطور الفكر المصرى و تجاوزت به حركته الرتيبة وتطوره البطئ ودفعته إلى آفاق ثورية شديدة الرحابة رغم ماواجهته من تحديات وتكتلات ومحاولات إحباط ؛ إلا أنها كانت تملك نصيباً لا بأس به من الوعى والتجديد لأهدافها والرغبة فى تحقيقها (٣٥٠)، ومما يؤكد عظمة الفكر الثورى العرابى أنه نجح فى إدماج مختلف الأحاسيس فى بؤرة الحس بالوطنية والقومية(٣٥١).

وبالقضاء على الثورة العرابية انتهت حقبة تاريخية هامة حاول فيها الأفندية والمثقفون الوقوف ضد الطغيان و الفساد الداخلى والخارجى وبدأت حقبة جديدة حمل لواءها وطنيون مخلصون، لكن

أساليب الاستعمار كانــت أشــد بطشــاً بهــم لأنهــم عملــوا فــى ظــل الاحــتلال ، " كما ازدهــرت فــي أوائــل القــرن العشــرين حركــة شــملت الأمــة كلهــا لطــرد جيش الاحــتلال البريطــانى، ولــم يكــن رد الفعــل موجهــاً ضــد الحكــم الأجنبــى وحــده، بــل كــان موجهــاً ضــد الاضــطراب الاجتمــاعي النــاجم عــن فــرض أفكــار ونظــم أوربيــة مســتمدة مــن الثــورة الصــناعية و ديمقراطيــة القــرن التاسع عشر على مجتمع زراعى إسلامى محافظ " (٣٥٢).

خاتمة:

- اعتمدنا في تلك الدراسة على وثائق الثورة العرابية والدوريات المصرية التي واكبت تلك الأحداث، وبعض المراجع الأجنبية والعربية التي شاركت بآرائها ، مما أثرى البحث بوجهات نظرهم القيمة و مادتهم العلمية الغزيرة و من خلال استقرائنا لتلك الآراء استطعنا تغطية فترة تاريخية هامة من تاريخ مصر الحديث بدأت بتعريف الأفندية و نشأتهم و انتماءاتهم الطبقية وتعدد مهامهم ، ثم دور التعليم الحديث في إصقال وظائفهم في عهد محمد على ، ثم انتكاسهم في عهد عباس وسعيد وإسماعيل والوظائف التي شغلوها واختلاف وضعهم عن وضع الأرستقراطية التركية وغيرها ممن شغلوا الوظائف الكبرى سواء في عهد محمد على أو من جاءوا بعده .

كذلك تطرقنا إلى الفكر السياسي لتلك الشريحة وأهميتها السياسية ودورها في الأحداث، والمؤثرات الشخصية والمادية على فكر الأفندية والجمعيات السياسية التي برز فيها دورهم الواضح بمساعدة المصلحين الذين كانوا ينتمون إلى الفكر التقليدى الإسلامى أو الاتجاه التوفيقى والليبرالى ، ثم تناولنا مشاركتهم الفعالة ودورهم السياسى فى الثورة العرابية ، وما تعرضوا له من رفت أو سجن بالإضافة إلى التهم المتعددة التى كيلت لهم أثناء التحقيق واتهامهم بالمشاركة فى أحداثها سواء مادياً أو معنوياً .

وأنهينا الموضوع ببداية حقبة جديدة قام فيها الوطنيون المصريون من المثقفين بمواجهة الاحتلال البريطانى للتخلص من أفكاره ونظمه التى حاول فرضها على المجتمع الذى رفض أفكار الثورة الصناعية وديمقراطية القرن التاسع عشر لاتسامه بالطابع الإسلامى المحافظ .

ومن أهم النتائج التى توصلنا إليها فى البحث ما يلى :

- بعد الأفندية المصريين فى عهد محمد على عن المراكز القيادية أفقدها الطابع الثورى الجاد ، ومن خلال تكيفها مع قيم المجتمع وأنظمته وصلت إلى تيار توفيقى ، وأن العناصر الفكرية الثورية التى أثرت فى مجراها لم تكن منتمية إلى الليبراليين المصريين .

- هناك عوامل لعبت دوراً مهماً فى إيقاظ الليبراليين المصريين من سكونهم وهى: تدفق الشوام وعملهم فى التدريس والصحافة وتبنيهم للأفكار التقدمية مثل : حرية العقيدة والقومية ، فأصبحوا جسراً موصلاً للثقافة الأوربية إلى المصريين وأسسوا صحافة الرأى العام ، وإذا قيل إن إسهام المصريين فيها كان محدوداً ؛ إلا أن القائلين بهذا يتناسون أكثر من حقيقة :

١- لولا وجود القاعدة العريضة من الأفندية لما قدر لأى صحيفة أن تعيش طويلاً دون قراء،والقراء هنا هم الأفندية.

٢- حقيقة أن السورريين هم الذين أصدروا الصحف ورأسوا تحريرها فى بعض الحالات ، لكن الذين قاموا بالتحرير والترجمة والتصحيح ؛ وهو الدور الأساسى لإصدار الصحيفة هم الأفندية المصريون .

٣- دخول المصريين إلى ميدان إصدار الصحف الأهلية مثل : جريدة الوطن وهى منبر من منابر المعارضة التى أصدرها ميخائيل أفندى عبد السيد .

- إن الاشتغال بالسياسة والعمل الحزبى شمل الأعيان وكبار متوسطى ملاك الأراضى الزراعية من ناحية ، وعلى الأفندية ممن يمكن أن نسميهم بالمثقفين أو طبقة الإنتلجنسيا المصرية من ناحية أخرى(٣٥٣).

– فجمعية مصر الفتاة التى تأسست فى أواخر عصر إسماعيل كان برنامجها نموذجاً لتأثير الأفندية على تمدين الفكر السياسى المصرى ، فقد طالبوا بتطبيق مبدأ فصل السلطات وترسيخ مبدأ المسئولية الوزارية ، وإذا كانت هذه الأفكار قد كتب عنها فى السابق ، لكن المطالبة بتطبيقها كان نتاج المجتمع المدنى الذى أقامه الأفندية .

– تجمع الموظفين حول الثورة عندما اتضح اتجاهها المبكر إلى تمصير الجهاز الإدارى للدولة كجزء من حسم قضية السلطة فى المجتمع ، وكان هذا طبيعياً لتأثرهم بالتيارات الفكرية الليبرالية وخاصة فى جانبها القومى الذى يرتبط بمصالحهم [٣٥٤] .

– كان الباب العالى على اتصال بالوطنيين والخديوى وهدفه من ذلك توسيع هوة الخلاف بين طرفى النزاع بالشكل الذى يفسح المجال للتدخل العثمانى ، واستغل الوطنيون اتصال السلطات العثمانية بهم ليخلعوا على قضيتهم صفة الشرعية حتى يحين الوقت الذى يعلنون فيه سيادتهم واستقلالهم [٣٥٥]، مما هز مركز درويش باشا مندوب الدولة العثمانية وعجل برحيله بعد مهاجمة النديم له

– أما أسباب حركة العصيان فقد لخصها الخديوى إلى الباب العالى فيما يلى : حكم العنصر التركى لمصر وغيره من الأجانب والتقليل من دور المصريين ودور صحيفة أبو نظارة فى الدعاية للعسكريين[٣٥٦].

– كانت الحركات الوطنية قبل الاحتلال تتنفس فى جو إسلامى خالص فهى تحافظ على السيادة العثمانية حتى الحركة العرابية المناهضة للخديو لم تستهدف الانفصال عن الدولة العثمانية ؛ ولهذا كان ينقصها مصطلح القومية الحديثة رغم وجود شعار " مصر للمصريين "[٣٥٧].

- لعب الضعف البالغ الذى سيطر على شخصية الخديو توفيق دوراً خطيراً فى تسهيل الأمور لاحتلال الإنجليز لمصر وتدخلهم فى كافة شئونها.

- لم يقتصر نشاط النديم الخطابى على فترة الثورة العرابية ، بل كان همزة الوصل بين جيلها والجيل الذى حمل الراية بعد انتكاسة الثورة ؛ فكان صاحب أول مدرسة خطابية فى العصر الحديث (٣٥٨) .

- كانت الحركة الوطنية فى مصر بين شقى الرحى فالإنجليز يضغطون عليها للتقليل من شأنها ومحاولة إجهاضها والعثمانيون يحاولون الضغط على الخديو لإلغاء الالتزامات المالية والسعى لإلغاء الاستقلال الذى نالته مصر، وهكذا تذبذبت سياستهم فهم مرة يناصرون عرابى وأخرى يؤيدون الخديو ، ثم يعودون لإعلان عصيان عرابى ؛ فكان هذا ضربة شديدة سددت للثورة وتسببت فى إخفاقها .

- وأخيراً لم يكن انهزام الثورة هو مجرد هزيمة عسكرية ، بل كارثة قومية وهزيمة معنوية انفردت بعدها انجلترا لاحتلال مصر .

هوامش البحث :

١- د أحمد السعيد سليمان: تأصيل ماورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل، دار المعارف سنة ١٩٧٩م ، ص ٢٠
٢- أحد القواميس التركية في معرض الكتاب
٣- د. أحمد السعيد سليمان : مرجع سابق ، ص ٢٠ .
٤- الجبرتي: عجائب الآثار في التراجم والأخبار ،جـ١ ، بيروت ، سنة ١٩٧٨ م ، ص ٣٣٣ .
٥- نفس المصدر: جـ١، ص ٥٢٨.
٦- " " : جـ ٢، ص ١٣٢ .
٧- " " : " ص ٦٨ .
٨- " " : ، ص ١٣٣ .
٩- " " : جـ ٢، ص ص ١٧٧ ، ١٧٨ .
١٠- " " : " ، ص ص ١٥٦ ، ١٥٧ .
١١- " " : جـ١ ،ص ٥٤٥ .
١٢-" " :جـ٢ ، ص ص١٦١ ،١٦٢
١٣- " " : جـ٢ ، ص ١٥٣ .
١٤- " " : جـ٢ ، ص ص ١١٦ ،١١٧.
١٥- " " : جـ١ ، ص ص ١٧٦ ، ١٧٧ .
١٦- " " : جـ٢ ، ص ١٣٠ .
١٧- " " :جـ٢ ، ص ١٧٨.
١٨- " " : جـ٢ ، ص ١٣٣ .
١٩- د. أحمد السعيد سليمان : مرجع سابق ، ص ٢١ .
٢٠- الجبرتي : مرجع سابق ، جـ٢ ، ص ١٣٣ .
٢١- نفس المصدر ، جـ٢ ، ص ١٢٠ .
٢٢- " " : جـ١ ، ص ١٨٨ .
٢٣- " " : جـ٢ ، ص ٩٠ .
٢٤- " " : جـ١ ، ص ١٧٧ .
٢٥- د. أحمد السعيد سليمان : مرجع سابق ، ص ٢١ .
٢٦- نفس المرجع: ، ص ٢١ .

٢٧- " " : ص ٢٢ .

٢٨- د. الجبرتى : مرجع سابق ، جـ ٢ ص٦٧.

٢٩- د. أحمد السعيد سليمان : مرجع سابق، ص ٢٢

٣٠- د. نفس المرجع : ص ص ١٠٨ -١٠٩ .

٣١- محافظ الأبحاث رقم : ١٤٩ ، ترجمة القانون رقم ٢٥٩٠ الصادر فى: ٢٦ نوفمبر سنة ١٨٣٤ م ، وتاريخ نشره فى الجريدة الرسمية ٢٩ نوفمبر ١٩٣٤م، العدد ٢٨٦٧.

٣٢- د. أحمد السعيد سليمان :مرجع سابق ، ص ٢٣ .

٣٣- زهير الشايب : وصف مصر ، المجلد الخامس، الخانجى ، الطبعة الأولى سنة ١٩٧٩م ، ص ٣٨ .

٣٤- هاملتون جب ، المجتمع الإسلامى والغرب ، جـ٢ ، دار المعارف ، سنة ١٩٧١م ، ص ١٩ .

٣٥- وصف مصر ، جـ٥ ، ص ٤٦.

٣٦- شهود الأهرام : مقالة بعنوان تقاسم الوظائف بين الأقباط والمسلمين فى مصر بقلم بشارة تقلا ١٨٩٤/٣/١٦م ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، ط ١، سنة ١٩٨٦ م ، ص ٢١ .

٣٧- د. حلمى أحمد شلبى ، الموظفون فى مصر فى عصر محمد على ، سنة ١٩٨٦م ، ص ١١ .

٣٨ - وصف مصر : مرجع سابق ، ص ٣٩ .

٣٩- نفس المصدر ، ص ٦٠ .

٤٠- زهير الشايب : مرجع سابق ، ص ٢١٢ .

٤١- وصف مصر : مرجع سابق ، جـ٥ ، ص ٤٢ .

٤٢- نفس المصدر: ص ص ٤١ ، ٤٢ ، محافظ أبحاث محفظة رقم ١٢١ نقلاً عن د. حلمى شلبى ، ص ١٥ .

٤٣- زهير الشايب : مرجع سابق ، ص ص ٣٩ ، ٤٠ .

(*) - كورك كلمة تركية بمعنى مجداف ويسمى الأفندى المكلف بالضريبة المخصصة لنقل الأنقاض كوركجى لأن النقل

فى الماضى كان يتم بواسطة القوارب .

٤٥- وصف مصر : مرجع سابق ص ص ٤١ ، ٤٢ ، ومحافظ أبحاث محفظة رقم : ١٢١، نقلاً عن د. حلمى شلبى ، ص ١٥

٤٦- نفس المصدر ، ص ٤٦ .

٤٧- باش حلفا: أفندى الشرقية ، أفندى الغربية ، أفندى الشهر ، أفندى الغلال.

٤٨- وصف مصر : مرجع سابق ، ص ٢١٤ .

٤٩- نفس المصدر: ، ص ٢٢٧ .

٥٠- " " :، ص ٢٥٤.

٥١- د. حلمى شلبى : مرجع سابق ، ص ١٩ .

٥٢- د. إلهام ذهنى : مصر فى كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين فى : ق١٨ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢م ، ص ٢٨٢ .

٥٣- زهير الشايب : مرجع سابق ، ص ١١٤ .

٥٤- د. حلمى شلبى : مرجع سابق ، ص ١٨.

٥٥- زهير الشايب : مرجع سابق ، ص٢٥٤.

٥٦- كلوت بك : لمحة عامة إلى مصر ، جـ١ ، دار الموقف العربى ، ط٢ ١٩٨١ م ، ص ٢٦ .

٥٧ - د. أحمد عبد الرحيم مصطفى : تطور الفكر السياسى فى مصر الحديثة ، معهد الدراسات العربية ١٩٧٣م ، ص ١٣، أحمد أمين: زعماء الإصلاح فى العصر الحديث ، النهضة ١٩٦٥م ، ص ٦ .

٥٨- د. فيليب حتى : تاريخ العرب ، جـ٣ ، ص ٨٧٦ .

٥٩ - محمد حسين هيكل : مذكرات فى السياسة المصرية ، جـ١ ، النهضة المصرية ، ١٩٥١م ، ص ١١ .

٦٠- دى شابرول: ترجمة زهير الشايب ، وصف مصر ، ط١، ١٩٧٦م ، ص ٥٩.

٦١- نفس المصدر ، ص ص ٦٢ ، ٦٣ .

٦٢- محمد أحمد فرغلى: عشت حياتى بين هؤلاء ، الأهرام ، ١٩٨٤م ، ص ٢٤ .

٦٣- د. أحمد عبد الرحيم مصطفى : مرجع سابق ، ص ١٥ .

٦٤- د. محمد عمارة : الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوى،جـ١ ، بيروت، ط١ ، ١٩٧٣م ، ص ص ١٦ ، ١٨ .

٦٥- نفس المصدر، ص ١٩.

٦٦- د. على الدين هلال ، التجديد فى الفكر المصرى الحديث ، ١٩٧٥م، ص ٣٠ .

٦٧- الأهرام: مقالة بقلم د. غالى شكرى: بتاريخ ١٤ / ٢ / ١٩٩٠م .

٦٨- جرجى زيدان : تراجم مشاهير الشرق فى: ق.١٩ ، جـ١ ، د.ت ، ص ٥٥ .

٦٩- د. حسن محمود : الإسلام والثقافة العربية ، النهضة ١٩٥٨م ، جـ١ ، ص ص ١٣٥ ، ١٣٦ .

٧٠- د. أميل فهمى : التعليم فى مصر ، الأنجلو ١٩٧٥م ، ص ص ٥٣ ، ٥٤ .

٧١- د. أحمد عزت عبد الكريم : حركة التجديد فى العالم الإسلامى، ص ٨٩ .

٧٢- محمد فؤاد شكرى : بناء دولة محمد على ، دار الفكر العربى ، ١٩٤٨ م ، ص ص ٩٤ ، ٩٥ .

٧٣- صلاح عيسى: الثورة العرابية ، بيروت ، ١٩٧٢م ، ص ١٢ .

٧٤- زهير الشايب : مرجع سابق ، ص ص ٦٢، ٦٣ ، محمد فؤاد شكرى : مرجع سابق ، ص ٩٤ .

٧٥- محمد فؤاد شكرى : مرجع سابق ، ص ٣٣٧ .

٧٦- د. يونان لبيب : ندوة رفاعة الطهطاوى وقضايا عصره ، ص ١٠ .

٧٧- د. جمال الدين الشيال : التاريخ والمؤرخون فى مصر فى :ق ١٩ ، النهضة المصـرية ١٩٥٨ م ، ص ٢٢٦ .

Charle Issawi,Egypt at mid, century an economic survey, Oxford ,1954, P.27-٧٨

٧٩-زهير الشايب : مرجع سابق ، ص ٦٦ .

٨٠-د. عبد الكريم رافق : العرب والعثمانيون ، دمشق ، ط١ ، ١٩٧٤م ، ص ٤٨٤ .

٨١- د. أحمد عزت عبد الكريم ، مرجع سابق ، ص ص ٥٦٧ : ٥٦٩ ، ص ص ٥٧٢ : ٥٧٣ .

٨٢- نوقان قرقوط : تطور الفكرة العربية فى مصر ١٨٠٥م -١٩٣٦م ، بيروت ١٩٧٢م ، ص ص ١٤٣ ، ١٤٤ .

٨٣- إبراهيم زكى : التطور المالى والحكومى فى عهدى الحملة الفرنسية ومحمد على، المطبعة المصرية بمصر، ص ١٨٣ .

٨٤- أنطون يعقوب : مصر الحديثة فى ثلاث سنين ، القاهرة ١٩١٧ م ، ص ص ٩ ، ١٠ .

٨٥- محمد فؤاد شكرى : مرجع سابق ، ص ٦٦ .

٨٦- ديوان المدارس ، عربى ٤٩ دفتر ٥٥ ، جـ٢ ، ٧٥٦ مكاتبة رقم ١٩٨٤ ، ذى الحجة ١٢٦٢هـ

٨٧-د. أحمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم فى عهد محمد على، القـاهرة ١٩٣٨م ، ص ص ٢٢٢ ، ٢٢٣.

٨٨- محمد فؤاد شكرى : مرجع سابق ، ص ٣٣٨ .

٨٩- مورو برجر : ترجمة محمد توفيق، البيروقراطية والمجتمع فى مصر الحديثة، القاهرة ١٩٥٩م ، ص ٣٠٧ .

٩٠- ديوان المدارس عربي ٥٠ دفتر ١٦٠، مدارس عربي مكاتبة رقم ٢ ، ٢ ربيع الآخر ١٢٦٦ هـ ، ص ٥٣٤ .

٩١-ديوان المدارس عربي ٥٠ دفتر ١٥١، مكاتبة رقم ٨٩٤ ، ١٤ جمادى الأخرى ١٢٦٦ هـ ، ص ٢٢٢٧.

٩٢-د. جمال الدين الشيال ، مرجع سابق، ص ٣٨ .

٩٣- د. أحمد عزت عبد الكريم : مرجع سابق ، ص ص ٣٢٧ : ٣٢٩ .

٩٤- نفس المصدر ، ص ٣٤٦، البهجة التوفيقية ، ص ١٨٤ .

٩٥-ديوان المدارس عربى ٤٩ ، دفتر ٢٨ جـ٣ ، مكاتبة ١٧٥ ، ص ١١٠٣٧، ١٧ صفر ١٢٦٢هـ .

(*) المشرف على التعليم فى مصر.

٩٦-د. أحمد عزت عبد الكريم : مرجع سابق ، ص ص ٣٦٣ : ٣٦٥

٩٧- د. جمال الدين الشيال ، مرجع سابق، ص ١١٢ .

٩٨- د. أحمد عزت عبد الكريم : مرجع سابق ، ص ص ٢٧١ ، ٢٧٣، ٢٨٠ .

٩٩-د. جمال الدين الشيال : مرجع سابق، ص ص ١٠٢ : ١٠٨ .

١٠٠-محمد فؤاد شكرى : مرجع سابق ، ص ٦٧١ .

١٠١-جاك تاجر: حركة الترجمة بمصر خلال القرن التاسع عشر، دار المعارف د.ت، ص٣٢، جمال الدين الشيال: مرجع سابق، ص ٣٩.

١٠٢- نفس المصدر ، ص ٣٠ .

١٠٣- د. جمال الدين الشيال ، مرجع سابق، ص ص٢٧ ، ٢٨ .

١٠٤- السياسة الأسبوعية : ١٩ مارس ١٩٢٧م، محمد قدرى باشا : رجال التاريخ الحديث فى مصر ، ص ١٠

١٠٥- د. جمال الدين الشيال ، مرجع سابق، ص ص ٤٠، ٤٣.

١٠٦- السياسة الأسبوعية : ١٩ مارس ١٩٢٧م ، رجال التاريخ الحديث في مصر ، محمد قدرى باشا ، ص ١٠

١٠٧- مورو برجر : مرجع سابق ، ص ٣٨ .

١٠٨- د. أحمد عزت عبد الكريم : مرجع سابق ، ص ص ٣٥٦ ، ٥٣٨ .

١٠٩- جمال الدين الشيال : مرجع سابق ، ص ٢٨ .

١١٠- ديوان المدارس عربى ٤٩ دفتر ٢٨ ، جـ٣ ، مكاتبة ٩٣ ، ٤ ربيع أول ١٢٦٢ هـ ، ص ١١٠٤.

١١١- ديوان المدارس عربى ٤٩ دفتر ١١ ، جـ٤ ، مكاتبة ٩٣ ، ٤ ربيع آخر ١٢٦١هـ ،عرض حالات، ص ٤٠٧٤.

١١٢- صالح جودت : مصر فى القرن التاسع عشر ، القاهرة ١٩٠٤م ، ص ١٨ .

١١٣- ديوان المدارس عربى ٤٩ دفتر ٢٧ مكاتبة رقم ٢٩٧ ، محرم ١٢٦٢هـ ، ص ٦٩١ ، دفتر ٤٨ ، مكاتبة ٧١١ ، جـ٧، ربيع آخر ١٢٦٣هـ ، ص ٢٤١٧ ، ديوان مدارس عربى رقم ٥٠ دفتر ١٤٣، وثيقة رقم ٣٧ ، ١٨ محرم ١٢٦٦هـ ، ص ٦٥٩

١١٤- د. جمال الدين الشيال : مرجع سابق ، ص ٣٨ .

١١٥- محمد فؤاد شكرى : مرجع سابق ، ص ص ١٠١ ، ١٠٢ .

١١٦- محمد عمارة : مرجع سابق ، ص ص ٣٦ ، ٣٧ .

١١٧- محمد فؤاد شكرى :مرجع سابق ، ص ١٠٢ .

١١٨- محمد عمارة : مرجع سابق ، ص ٣٧ .

١١٩- الأمير عمر طوسون : البعثات العلمية فى عهد محمد على ، الإسكندرية ١٩٣٤م ، ص ١٢ .

١٢٠- نفس المصدر ، ص ٣٤ .

١٢١- " " ، ص ص ٢٣ ، ٢٩ .

١٢٢- محمد فؤاد شكرى : مرجع سابق ، ص ص ١٠٠ : ١٠٢.

١٢٣ - أميل فهمى : مرجع سابق ، ص ٥٥ .

١٢٤- محمد فؤاد شكرى : مرجع سابق ، ص ص ١٠٣.

١٢٥- أميل فهمى : مرجع سابق ، ص ٥٦ .

(*) ذكر Lutsky فى كتابه Modern History ، ص ٦١ أن الغرض من البعثـات هـو إعـداد صغار المصريين لتولى المراكز الهامة المتمثلة فى ضباط الجيش والمهندسـين ومشـروعات الحكومة ، كما أن بعضاً منهم أصبحوا وزراء .

١٢٦- محمد فؤاد شكرى : مرجع سابق ، ص ص ١٠٣: ١٠٥ .

١٢٧- د. فيليب حتى: تاريخ العرب، جـ٣ ، ص ٨٥٢ .

١٢٨- د. حسن محمود : الإسلام والثقافة العربية فى إفريقيا،جـ١ ، مكتبة النهضة ، ١٩٥٨ م ، ص ١٣٦.

١٢٩- محمد فؤاد شكرى: مرجع سابق ، ص ص ١١٠ : ١١٥ .

١٣٠- د. حسين فوزى النجار : رفاعة الطهطاوى ، أعلام العرب ، د.ت ، ص ٤٠ .

١٣١- د. لطيفة سالم : مرجع سابق، ص٦٧ .

(*) يذكر د.على الدين هلال فى كتابه:التجديد فى الفكر السياسى المصرى الحديث ص ص٣٢ ،٣٣ أنه نشأت أفكار جديدة يصح أن نطلق عليها أفكار التغيير والإصـلاح وأن نسـجل الـوعى المتزايد لدى قطاع من المتعلمين والمثقفين الذين تأثروا بآراء وأفكار الثورة الفرنسية .

١٣٢- د. أحمد عزت عبد الكريم : مرجع سابق ، ص ص ٦٥٠ ،٦٥٢، صلاح عيسى: الثورة العرابية بيروت، ط١ ، ١٩٧٢م، ص١٥٠.

١٣٣- نفس المصدر ، ص ص ٦٦٠ ، ٦٦١ .

١٣٤- شفيق غربال : أعلام الإسلام ، محمد على الكبير، دائرة المعارف الإسلامية ، القاهرة د.ت ، ص ٨٧ .

١٣٥- د. أحمد عزت عبد الكريم : مرجع سابق ، ص ٦٦٠ .

١٣٦- كلوت بك : مرجع سابق ، ص ٥١٧ .

١٣٧- عمر السكندرى وسليم حسن : تاريخ مصر من الفتح العثمانى، دار المعارف ١٩٣١م ، ص ٢٥ .

١٣٨- د. سميرة بحر : الأقباط فى الحياة السياسية المصرية ، الأنجلو ١٩٧٩م ، ص ٣٤ .

١٣٩- Reynier,Egypt after the buttle of Hiliopolis, London 1802 , P.73

١٤٠- Henry Dodwell , Op,cit , P. 208

١٤١- Charles Issawi, Op,cit , P.25

١٤٢- د. حلمى شلبى : الموظفون فى عصر محمد على ، الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٩ م ، ص ٢٤ .

١٤٣- A.A Paton,a history of the Egyptian revolution v.II, P.281

١٤٤- محمد فؤاد شكرى : تقرير دوهاميل سنة ١٨٣٧م ، ص ٣٨٩ ، Paton, Op,cit P.281 .

١٤٥- د. شفيق غربال: مرجع سابق ، ص ٧٩ .

١٤٦- الجبرتى : جـ٤ ، إبريل ١٨١٩م ، ص ٣٠٣ ، رمزى تادرس : الأقباط فى: ق٢٠ ، جـ١ ، ص ١ .

١٤٧- د. حلمى شلبى : مرجع سابق ، ص ص ٢٤ ، ٢٥ .

١٤٨- هيلين ريفلن : المصدر السابق ، ص ١١٧ .

١٤٩- الجبرتى : جـ٤ فبراير ومارس ١٨١٠م ، ص ١١٩ ، أكتوبر ١٨١٠م ، ص ص ١٢٢ ، ١٢٣ .

١٥٠- د. إبراهيم زكى : مرجع سابق ، ص ١١٣ .

١٥١- جاك تاجر: مرجع سابق ، ص ٢٣٤ .

١٥٢- محمد فؤاد شكرى : مرجع سابق ، ص ٦٦٥ .

١٥٣- جرجس سلامه : أثر الاحتلال البريطانى فى التعليم القومى فى مصر، ط١ ، القاهرة ١٩٦٦م ، ص ٤٥ .

١٥٤- نفس المصدر ، ص ٨٨ .

١٥٥- محمد فؤاد شكرى : مرجع سابق ، تقرير دوهاميل ١٨٣٣ م .

١٥٦- الرافعى : عصر محمد على ، ص ٦٣٦ .

١٥٧- د. إميل فهمى : التعليم فى مصر ، الأنجلو ١٩٧٥م ، ص ص ٨٥ ، ٨٦.

١٥٨- Hamont, L` Egypte, Sous Mohamed Ali vol I , PP.441-442

١٥٩- د. لويس عوض : تاريخ الفكر المصرى الحديث من عصر إسماعيل إلى ثورة ١٩١٩ م ،جـ٢ ، ص ٢٢٠ .

١٦٠- د.عمارة : مرجع سابق ، ص ص ١٥١ : ١٥٤

١٦١-د. عمارة: الأعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوى، ص ص ٥٨ ، ٥٩ .

١٦٢- إميل فهمى : مرجع سابق ، ص ص ٨٥ ، ٨٦ .

١٦٣- د. لطيفة سالم : مرجع سابق ، ص ٦٨ .

١٦٤- عبد الرحمن الرافعى : عصر إسماعيل ، جـ١ ، ص٢٢ .

١٦٥- عمر السكندرى وسليم حسن : مرجع سابق ، ص ٢١٠ .

١٦٦- ميخائيل شاروبيم الكافى : جـ١ ، ١٩٠٠م ، ص ١٠٩ .

١٦٧- نفس المصدر ، جـ٤ ، ص ٩٩ .

١٦٨- عبد الرحمن الرافعى : مرجع سابق ، جـ١ ، ص١٧ .

١٦٩- د. عمارة: مرجع سابق، ص ص ٥٩ ، ٦٠ .

(*) كان من رجال الحكومة المعدودين وله أثره فى مختلف المصالح الحكومية وحاز مكانة عليا فى هيئة الحكام رغم ندرة المصريين ، السياسة الأسبوعية ، السبت ٩ إبريل ١٩٢٧م ، على باشا مبـارك بقلم محمد الصادق حسين .

١٧٠- د. حسين فوزى النجار : مرجع سابق ، ص ص ٨٤ ، ٨٧ ، ٩١

١٧١- د. لويس عوض : تاريخ الفكر المصري الحديث ، من عصر إسماعيل إلى ثورة ١٩١٩م ، جـ٢ ، ص ٢٢٠ .

(*)الرافعى : عصر محمد على ، ص ٤٨ .

١٧٢- د. لطيفة سالم : مرجع سابق ، ص ٦٨ .

(**)عبد الرحمن الرافعى : عصر إسماعيل ، جـ١ ، ص ٢١٠ .

١٧٣- إميل فهمى : مرجع سابق ، ص ص ٨٧ ، ٨٨ .

١٧٤- عبد الرحمن الرافعى : عصر محمد على ، ص ٤٩ .

١٧٥- نفس المصدر ، ص ٣٢، د. يونان لبيب: الحياة الحزبية فى مصر فى عهد الاحتلال ، القاهرة ١٩٧٠م ، ص٣ .

١٧٦- ميخائيل شاروبيم : الكافى ، جـ١ ، ١٩٠٠م ، ص ١١٣ .

١٧٧- الرافعى : عصر محمد على ، ص ٣٦ .

١٧٨- عمر السكندرى وسليم حسن : مرجع سابق ، ص ٢١٤ .

١٧٩- إلياس الأيوبى: تاريخ مصر فى عهد الخديوى إسماعيل ، دار الكتب ١٩٢٢م، المجلد الثانى ، ص ص ٤١٧ : ٤٢١ .

١٨٠- د. لويس عوض : تاريخ الفكر المصري الحديث ، جـ٢ ، ص ٢٢١ .

١٨١- د. لطيفة سالم : مرجع سابق ، ص ٩٢ .

١٨٢- نفس المرجع ، ص ص ٩٨ ، ٩٩ .

١٨٣- إميل فهمى : مرجع سابق ، ص ص ٨٩ ،٩٠ .

(*) بدأ الإصلاح في الأزهر منذ تولى محمد العباسي المهدي المشيخة في ١٨٧١م .

١٨٤- عبد الرحمن الرافعى : عصر إسماعيل ، جـ١ ، ص ص ٢٠٦ ، ٢٠٨ .

١٨٥- د. لطفية سالم : مرجع سابق ، ص ٧١ .

١٨٦- د. أحمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم من نهاية عهد محمد على إلى توفيق، ١٩٤٥م ،ص ٩٧ .

١٨٧- د. عبد الكريم رافق : العرب والعثمانيون ١٥١٧م : ١٩١٦م ، دمشق ، ط١ ،١٩٧٤م ، ص ٤٨٨

١٨٨- إميل فهمى : مرجع سابق، ص ص ٩٤ ، ٩٦ .

١٨٩- نفس المصدر ، ص ٩٠ .

١٩٠- صلاح عيسى : مرجع سابق ، ص١٨٨ – بلغ عدد المدارس الأجنبية ٧٠ مدرسة والأقباط ١٢ مدرسة ، الرافعى : عصر إسماعيل ، جـ١، ص ٢٠٩ .

١٩١- إلياس الأيوبى: تاريخ مصر فى عصر إسماعيل ، م١ ،١٩٢٣م ، ص ص٢٣٠، ٢٣٢ ، الرافعى: عصر إسماعيل: جـ١، ص ٢٠٢ ، جرجس سلامه : ، ص٢٣ .

(*) لقد جسد على مبارك الشخصية المصرية الحديثة لاستكمال نموها والبحث عن دورها فى المجتمع بعد أن كادت تندثر لقرون عديدة لهذا كانت دهشته حينما رأى وجها أسود " هو عنبر أفندى مأموراً فى أبو كبير شرقية " وكان سؤاله عن معيار الوصول إلى الحكم إذ لم يكن معتاداً إلا على الوجوه البيضاء من الأتراك وتابعيهم، وأدرك أن التعليم فى الأزهر ومدرسة القصر العينى واهتمامهما بالتعليم الحديث وعلوم العصر هما اللذان يهبان المدنية التى تذلل الطريق أمام الأمة من خلال مخاطباتهم ومناقشاتهم لأمور بلادهم مع الدارسين لتلك الأمور وبذلك يتعودوا على أن يطالبوا بحقوقهم . أنظر جريدة الأهرام : ١٥ نوفمبر ١٩٩٣م ، على مبارك ونمو الشخصية المصرية فى القرن التاسع عشر ، بقلم د.أحمد درويش ، ص٩ .

١٩٢ – الرافعى : عصر إسماعيل ، جـ١ ، ص ص ٢٠٨ : ٢١٠

١٩٣– عمر السكندرى وسليم حسن : مرجع سابق ، ص ٢٤ .

١٩٤– لوتسكى : تاريخ الأقطار العربية الحديث ، دار التقدم ، موسكو ، ١٩٧١م ، ص ١٩٩ .

١٩٥– د. سميرة بحر : مرجع سابق ، الأنجلو ١٩٧٩ م ، ص ٢٢ .

(**)لازم الأفغانى وتأثر بمعارفه فى وقت قصير ، وكتب فصولاً فى الجرائد لفتت إليه الأنظار ، ونال شهادة العالمية لنزعاته الفكرية ، عين مدرساً فى مدرسة دار العلوم والألسن وأصبح من محررى الجرنال الرسمى – الوقائع المصرية – ، ثم عين رئيساً للتحرير بها ، لمزيد من التفاصيل أنظر : السياسة الأسبوعية ، السبت ٢٦ مارس ١٩٢٧م " رجال التاريخ الحديث – محمد عبده– ١٨٤٩م– ١٩٠٥م " بقلم: الشيخ مصطفى عبد الرازق ، ص ص ١٧ :٢١ .

١٩٦– د. أحمد زكريا الشلق : رؤية فى تحديث الفكر المصرى ، الشيخ المرصفى : الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٤م ، ص ص ٤١ ،٤٢ .

١٩٧– د. لطيفة سالم : مرجع سابق ، ص ص ٦٩ ،٧٠ ، إميل فهمى ، مرجع سابق ، ص ٩٠ .

١٩٨– د. على الدين هلال : التجديد فى الفكر السياسى المصرى الحديث ، معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٥م ، ص ص ١٩ ،٢٠ .

١٩٩– محمد حسين هيكل : مرجع سابق ، ص ١٢ .

٢٠٠– مجلة الثقافة : أحمد أمين ، العدد ٢٣٥ ، السنة الخامسة ، ص٩ ، حسين عبد الرحيم عليوه: ندوة رفاعة من ١٨ ديسمبر–٢٠ديسمبر ١٩٧٦م ، ص ٥ .

٢٠١– مجلة الطليعة : الفكر الأيديولوجى وتأخره فى مصر فى رأى صفران أحد الكتاب الإسرائليين ، عدد سبتمبر ١٩٧٢م ، ص ١٢١.

٢٠٢– د. محمد عمارة : مرجع سابق ، ص ص ٦٥ : ٦٨ .

٢٠٣– نفس المصدر ، ص ص ٩٣ ، ٩٤ .

٢٠٤- د. حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة العربية فى إفريقيا ، جـ١ ، مكتبة النهضة ١٩٥٨ م ، ص ١٣٨ .

٢٠٥- الرافعى : عصر إسماعيل ، جـ١ ، ص ص ٢١٢ : ٢١٥ .

٢٠٦- د. حسين فوزى النجار : على مبارك ، أعلام العرب ، دار الكاتب العربى ١٩٦٧ م ، ص ص ٩٧ : ١٠٢ .

٢٠٧- د. لويس عوض : مرجع سابق ، جـ١ ، ص ٣٥٤ .

٢٠٨- نفس المرجع : مرجع سابق ، جـ٢ ، ص ٢٢٧.

٢٠٩- د. سميرة بحر : مرجع سابق، ص ص ٣٠ ، ٣٦ ، ٣٧ .

٢١٠- د. على الدين هلال : مرجع سابق ، ص ٣٤ .

٢١١- د. عبد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية فى مصر من ١٩١٨م- ١٩٣٦م ، دار الكاتب العربى د.ت، ص ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

٢١٢- على الدين هلال : مرجع سابق ، ص ص ١٠٣ ، ١٠٨ .

٢١٣- د. حسين فوزى النجار : رفاعة الطهطاوى أعلام العرب ١٩٥٣ م د.ت ، ص ١٦٣ .

٢١٤- د. عبد الكريم رافق : مرجع سابق ، ص ص ٤٨٤ ، ٤٨٥ .

٢١٥- نفس المرجع ، ص ص ٤٨٦ : ٤٨٧ ، د. على الدين هلال : مرجع سابق ، ص ٦٠ .

٢١٦- د. محمد عمارة : مرجع سابق ، ص ١٢٣ .

٢١٧- د. أحمد عبد الرحيم مصطفى : مرجع سابق ، ص ١٩ .

٢١٨- الأمير عمر طوسون : مرجع سابق، ص ٢٣ .

٢١٩- د. لطيفة سالم : مرجع سابق ، ص ٦٨ .

٢٢٠- د. حسين فوزى النجار : رفاعة الطهطاوى ، ص ص ١٥٦ ، ١٥٨ .

٢٢١- د. محمد عمارة ، مرجع سابق ، ص ص ٢٥ ، ٤٥ .

٢٢٢- نفس المرجع ، ص ص ٤٩ ،٥٥ .

٢٢٣- صلاح عيسى : مرجع سابق ، ص ص ١٩٧ : ١٩٩ .

٢٢٤- د. محمد عمارة : مرجع سابق ، ص ص ١٣١- ١٣٢ .

٢٢٥- نفس المرجع ، ص ٥١٨ .

٢٢٦- نفس المرجع ص ص ١٨٢ ، ١٨٣ .

٢٢٧- د. أحمد زكريا الشلق : رؤية فى تحديث الفكر المصرى ، الشيخ حسين المرصفى ، الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٤ م ، ص ٢٣ .

٢٢٨- د. لطيفة سالم : القوى الاجتماعية ، ص ٦٨ .

٢٢٩- د. أحمد زكريا الشلق : مرجع سابق ، ص ٢٥ .

٢٣٠- نفس المصدر، ص ١٦.

٢٣١- نفس المصدر ، ص ص ١٩ : ٢١ .

٢٣٢- د. على الدين هلال : مرجع سابق ، ص ص ٣٩ : ٤٣ .

٢٣٣- محمد حسين هيكل : مرجع سابق ، ص ٢٧ .

٢٣٤- السياسة الأسبوعية : رجال التاريخ الحديث ، ٢٦ مارس ١٩٢٧م " مقالة بقلم : للشيخ مصطفى عبد الرازق ،ص ص ١٧ : ٢١ .

٢٣٥- د. على الدين هلال : مرجع سابق ، ص ص ٤٣ ، ٤٥ .

٢٣٦- د. أحمد زكريا الشلق : مرجع سابق ، ص ص ٤٣ : ٤٥ .

٢٣٧- نفس المصدر ، ص ٣٧ .

٢٣٨- د. سلوى العطار : التغيرات الاجتماعية فى عهد محمد على ، دار النهضة العربية، ط١ ، ١٩٨٩م ، ص ٤٥ .

٢٣٩- د. أحمد زكريا الشلق : مرجع سابق ، ص ص ٣٢ ، ٣٣ .

٢٤٠- د. سعيد إسماعيل على : مرجع سابق، ص ٤٦ .

٢٤١ د. لويس عوض : تاريخ الفكر المصرى الحديث ، جـ٢ ، ص ص ٢٢١ ، ٢٢٢ .

٢٤٢- د. عبد الكريم رافق : مرجع سابق ، ص ٤٩١ .

٢٤٣- جريدة مصر ٢٣ نوفمبر ١٨٧٨ م ، السنة الثانية ، العدد ٢٣ .

٢٤٤-" " " " ، " " ، العدد ٣٧ .

٢٤٥-" " " " ، العدد ٣٥ .

٢٤٦-" " " " ، العدد ٤٥ .

٢٤٧- جريدة مصر ٢٥ أكتوبر ١٨٧٨ م ، " " ، العدد ١٧ ، ٢٣ نوفمبر العدد ٢٣ .

٢٤٨- جريدة مصر ٥ سبتمبر ١٨٧٨ م .

٢٤٩- جريدة الوقائع المصرية ، عدد ٧٩٣ ، ١٢ يناير ١٨٧٩م ، ص٢ .

٢٥٠- د. حسين عبد الرحيم عليوه ، رفاعة الطهطاوي مربياً ، ندوة رفاعة من ١٨ -٢٠ ديسمبر ١٨٧٦م ، ص ص ٩ ، ١٠ .

٢٥١- د. أحمد زكريا الشلق : مرجع سابق ، ص ٣٤ .

٢٥٢- د.على الدين هلال : مرجع سابق ، ص ص ٤٣ ،٤٥ .

٢٥٣- نفس المرجع ، ص ص ٤٥ ، ٤٧ ، ٥٠ ، ٥٥ : ٥٨ .

٢٥٤- د. رؤوف عباس حامد : مصر في القرن التاسع عشر ، دار النهضة العربية ، ص ١٩٤ .

٢٥٥- جريدة الوطن : ١١ يناير ١٨٧٩م ، السنة الثانية ، العدد ٦١ .

٢٥٦- نفس المصدر : ٨ فبراير ١٨٧٩م ، السنة الثانية ، عدد ٦٥ .

٢٥٧- نفس المصدر ، ص ٤ .

٢٥٨- نفس المصدر : ١٢ إبريل ١٨٧٩م ، السنة الثانية ، عدد ٧٤ .

٢٥٩- جريدة الوطن : ١٩ إبريل ،١٨٧٩م ، السنة الثانية ، عدد ٧٥ ، ص ٤ .

٢٦٠- جريدة الوطن : ٢٦ إبريل ، ١٨٧٩م ، السنة الثانية ، عدد ٧٦ .

٢٦١- جريدة الوطن : ٧ يونيو/جمادى الأخرى ١٢٩٦هـ ، عدد ٨٢ .

٢٦٢- جريدة الوطن : ٣١ مايو ١٨٧٩م ، السنة الثانية ، عدد ٨١ .

٢٦٣- جريدة الوطن : ٦ سبتمبر ،١٨٧٩م ، السنة الثانية ، عدد ٩٥ .

٢٦٤- د. على الدين هلال : مرجع سابق ، ص ٣٥ .

٢٦٥- د. لويس عوض : مرجع سابق ، جـ٢ ، ، ص ص ٢٢٣ : ٢٢٥ .

٢٦٦- نفس المرجع ، ص ٢٢٦ .

٢٦٧- د. لطيفة سالم : مرجع سابق ، ص١١ .

٢٦٨- عبد الرحمن الرافعى : الثورة العرابية ، دار المعارف ١٩٨٣م ، ص ٧٥ .

٢٦٩- جريدة الوطن : ١٦ أكتوبر ١٨٨٠م .

٢٧٠- عبد الرحمن الرافعى : الثورة العرابية ، ص ٧٥ .

٢٧١- نفس المرجع : ص ٨١ .

٢٧٢- د. لويس عوض : مرجع سابق ، جـ٢ ، ص ٢٢٧ .

٢٧٣- د. على الدين هلال : مرجع سابق ، ص ص ٣٦ ، ٣٩ .

٢٧٤- فيليب حتى : مرجع سابق ، ص ٨٥٢ .

٢٧٥- جريدة الوطن: ٢٧ سبتمبر ١٨٧٩م ، عدد ٩٨، السنة الثانية، ص٣ ،"حزب مصر الفتاة "، د.رؤوف عباس: مرجع سابق ، ص ٢١٧

٢٧٦- جريدة الوطن : ١١ أكتوبر ١٨٧٩م ، عدد ١٠٠ ، السنة الثانية.

٢٧٧- د. رؤوف عباس : مرجع سابق ، ص ٢١٨ .

٢٧٨- مصطفى عبد الغنى : المؤثرات الفكرية فى الثورة العرابية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢م ، ص ١٤٨ .

(*)-كانت جريدة مصر الفتاة لسان حال هذا الحزب وقد عطلت بأمر المراقبة الثنائية فى ١٧ نوفمبر ١٨٧٩م ،لأنها كانت تعبر عن حزب يتشبه بحزب تركيا الفتاة ويتخذ من مبادئ الثورة الفرنسية مذهباً له ، د. لويس عوض : تاريخ الفكر المصرى الحديث، جـ٢ ، ص ٢٢٩

٢٧٩- د. رؤوف عباس : مرجع سابق ، ص ص ٢١٩ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

٢٨٠- د. لطيفة سالم : مرجع سابق ، ص ص ٧٤ ، ٧٥ .

٢٨١- د. أحمد عبد الرحيم مصطفى : تطور الفكر السياسى فى مصر الحديثة ، ص ٣١ .

٢٨٢- أحمد أمين : مرجع سابق.، ص ص ٧٤ ، ٧٥ ، ١٠٥ .

٢٨٣- جريدة الوطن : ١٥ نوفمبر ١٨٧٩م ، عدد ١٠٥ ، السنة الثالثة.

٢٨٤- د. سعيد إسماعيل على : مرجع سابق ، ص ٤٦٥ .

٢٨٥- د. على الدين هلال : مرجع سابق ، ص ٢٦ .

٢٨٦- نفس المرجع ، ص ص ١١٢، ١١٣ ، الرافعى : الثورة العرابية، ص ص ١٤١ ، ١٤٢

٢٨٧- مجلة الطليعة : فبراير ١٩٦٥م ، ص ١٤٩ ، بلنت التاريخ السرى لاحتلال انجلترا مصر ، ص ص ٤٤٠ : ٤٤٢

٢٨٨- د. رؤوف عباس : مرجع سابق ، ص ٢٠٨ .

(*)الذى سمى بالحزب الوطنى الأهلى ،وضم إلى جانب عرابى ، على الروبى، وعبد العال حلمى وغيرهم ، ثم تحول إلى حزب علنى هو الحزب الوطنى- د. سعيد إسماعيل على : مرجع سابق ، ص ٤٦١ .

٢٨٩- د. رؤوف عباس : مرجع سابق ، ص ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ ..

٢٩٠- مجلة الطليعة : فبراير ١٩٦٥م ، ص ١٤٨ .

٢٩١- أحمد أمين : مرجع سابق ، ص ص ٢١٤ : ٢٢٠ ، د. لطيفة سالم : ص ٨٩ .

٢٩٢- د. لطيفة سالم : مرجع سابق ، ص ص ٨٩ ، ٩٠ .

٢٩٣- د. أحمد زكريا الشلق : مرجع سابق ، ص ١٨ .

٢٩٤- د. لويس عوض : مرجع سابق ، جـ ٢ ، ص ٢٣١ .

٢٩٥- أحمد أمين : مرجع سابق ، ص ٢٢٥ .

٢٩٦- لويس عوض : مرجع سابق ، ص ص ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٨.

٢٩٧-د. جمال الدين الشيال : التاريخ والمؤرخون فى مصر فى: ق.١٩ ، النهضة المصرية ١٩٥٨م، ص ص ١٥٨ ، ١٦٣

٢٩٨- عبد الرحمن الرافعى : الثورة العرابية ، ص ص ٧٩ ، ٨٠ .

٢٩٩- د. لطيفة سالم : مرجع سابق ، ص ص ٤٠٦ ، ٤٠٧ .

٣٠٠- جريدة السياسة الأسبوعية : رجال التاريخ الحديث ، الشيخ محمد عبده ١٨٤٩م- ١٩٠٥م ، بقلم : الشيخ محمد عبد الرازق ، ٢٦ مارس ١٩٢٧م ، ص ص ١٧ : ٢١ ، د. لطيفة سالم : مرجع سابق ، ص ص ٨٢ ،٨٣ ، مصطفى عبد الرازق : محمد عبده ، دار المعارف ١٩٥٤م ، ص ٧٦ ، أحمد أمين : مرجع سابق ، ص ٣٤٢ .

٣٠١- صلاح عيسى : مرجع سابق ، ص ٢٠٠ .

٣٠٢- مصطفى عبد الرازق ، مرجع سابق ، ص ص ١١٤ : ١١٧ .

٣٠٣- نفس المرجع ، ص ١٢٣ .

٣٠٤- محمد سلام مدكور : جمال الدين الأفغانى باعث النهضة الفكرية فى الشرق ١٩٣٧م ، ص ٧٩ .

٣٠٥- د. لطيفة سالم : مرجع سابق ، ص ص ٧٤ ، ٧٥ .

٣٠٦- عبد الرحمن الرافعي : جمال الدين الأفغاني ، ص ص ١٨ ، ١٩ .

٣٠٧- نفس المرجع ، ص ٤٠ .

٣٠٨- عبد الرحمن الرافعي : مرجع سابق ، ص ٤٧ .

٣٠٩- أحمد أمين : مرجع سابق ، ص ٧٠ .

٣١٠- محمد سلام مدكور : مرجع سابق ، ص ٩٨ .

٣١١- د. لطيفة سالم : مرجع سابق ، ص ١١١ .

٣١٢- مجلة الطليعة: عدد سبتمبر ١٩٧٢م ، الفكر الأيديولوجي وتأخره في مصر في رأى صفران أحد الكتاب الإسرائيليين، ص ص ١٢٣،١٢٢.

٣١٣- د. سعيد إسماعيل علي : مرجع سابق ، ص ٥٦٧ .

٣١٤- صلاح عيسى : مرجع سابق ، ص ص ١٤٧ : ١٥٠ .

٣١٥- محافظ الثورة العرابية : محفظة رقم ٢١ ، دوسيه رقم ١٦ .

٣١٦- محافظ الثورة العرابية : محفظة رقم ٩ ، دوسيه رقم ٧٩ .

٣١٧- نفس المصدر : " حالة مصر "

٣١٨- محافظ الثورة العرابية : محفظة رقم ٩ ، دوسيه رقم ٧٢ .

٣١٩- نفس المصدر : تفاصيل هذا الموضوع في شهري سبتمبر ونوفمبر ١٨٨٢ م ، ص ص ١٠ ، ١٢ ، ١٥ ، ١٦ .

(*) (*) كان حسن الشمسي مدرساً للعلوم العربية في المدارس الأهلية وداوم على الكتابة في الصحافة ، وتناولت مقالاته العدل وضرورة النهوض بالتعليم – د. لطيفة سالم : مرجع سابق ، ص ٨٣ .

٣٢٠- محافظ الثورة العرابية : محفظة رقم ١٠ ، دوسيه رقم ١١٤، حرر هذا المحضر بتاريخ محرم ١٣٠٠هـ .

٣٢١- محافظ الثورة العرابية : محفظة رقم ١٧ ، دوسيه رقم ٣٩ " قضايا المتهمين " .

(**) عبارات التهييج مثل : " قومي يا أمة مصر فقد فتحت لك أبواب الحرية ".

٣٢٢- محافظ الثورة العرابية : محفظة رقم ٧ ، دوسيه رقم ٣٨ " محاضر ومقتطفات من تقارير واردة في ١٤ محرم ١٢٩٩هـ " ، محفظة رقم ١٩ ، دوسيه رقم ٨٥ ، ٦ أكتوبر ١٨٨٢م .

٣٢٣ – محافظ الثورة العرابية : محفظة رقم ٧ ، دوسيه رقم ٣٨ " محضر استجواب أحمد رفعت.

٣٢٤- محافظ الثورة العرابية : محفظة رقم ١٩ ، دوسيه رقم ٨٥ ، ٦ أكتوبر ١٨٨٢ م .

٣٢٥- محافظ الثورة العرابية : محفظة رقم ١٣ ، دوسيه رقم ٢٥٩ .

٣٢٦- محافظ الثورة العرابية : محفظة رقم ٧ ، دوسيه رقم ٢٧ ،محضر اتهامه وتقديمه للمحاكمة في ٣٠ سبتمبر ١٨٨٢م .

٣٢٧- محافظ الثورة العرابية : محفظة رقم ٤٠ ، دوسيه رقم ١٩٢ ، عدد ٤٧ .

٣٢٨- محافظ الثورة العرابية : " " ، ص ص ٣٨ ، ٣٩ .

٣٢٩- محافظ الثورة العرابية : محفظة رقم ١٣ ، دوسيه رقم ٢٥٤ ، " قضايا المتهمين فى الثورة العرابية " .

٣٣٠- محافظ الثورة العرابية : محفظة رقم ١٣ ، دوسيه رقم ٢٦٣ .

٣٣١- محافظ الثورة العرابية : محفظة رقم ١٣ ، دوسيه رقم ٢٦٧ ، ١٩ أغسطس ١٨٨٢م .

٣٣٢- محافظ أبحاث الثورة العرابية : محفظة رقم ٢٢ ، دوسيه رقم ١٩ ، ٣٠ نوفمبر ١٨٨٢م / محرم ١٣٠٠هـ .

٣٣٣- محافظ الثورة العرابية : محفظة رقم ٧ ، دوسيه رقم ٢٥ ، ١٢ نوفمبر ١٨٨٢م .

٣٣٤- محافظ الثورة العرابية : محفظة رقم ١٢ ، دوسيه رقم ١٩٥ ، ٦ ديسمبر ١٨٨٢م .

٣٣٥- محافظ الثورة العرابية : محفظة رقم ١٧ ، دوسيه رقم ٤٠١ .

٣٣٦- محافظ الثورة العرابية : محفظة رقم ٨ ، دوسيه رقم ٤٤ ، " محضر استجواب الشيخ أحمد العبدى مدرس بالأزهر

٣٣٧- محافظ الثورة العرابية : محفظة رقم ٨ ، دوسيه رقم ٥٠ ، " المتهمين فى إثارة الشعب من المشايخ وتأييد العصاة " .

٣٣٨- الثورة العرابية : محفظة رقم ١٥ ، دوسيه رقم ٣٤٤ ، " قومسيون التحقيق نمـــ ٦٦ ،١٦ مـــن ذى الحجة ١٢٩٩هـ " .

٣٣٩- محافظ الثورة العرابية : محفظة رقم ١٩ ، دوسيه رقم ٨٥ ، ٦ أكتوبر ١٨٨٢م .

٣٤٠- د. لطيفة سالم : مرجع سابق ، ص ٧٣ .

٣٤١- محافظ الثورة العرابية : محفظة رقم ١٠ ، دوسيه رقم ١٢٣/جـ ، " قضايا المتهمـــين فـــى الثـــورة العرابية " .

(*) كان مبعوثاً لدراسة الطب وكان جراحاً فى فرقة عرابى باشا .

٣٤٢- وثائق الثورة العرابية : محفظة رقم ١٤ ، دوسيه رقم ٢٩٧، باريس فى ١٨ ، ٢٠ يوليو، ٢٤ أغسطس ، ١ سبتمبر ١٨٨٢م

٣٤٣- محافظ الثورة العرابية : محفظة سابقة بتاريخ : ٢١ يوليو ١٨٨٢م ، خطـــاب مـــن مـــدير البعثـــة المصرية فى فرنسا ، مسمير ومالوس .

٣٤٤- محافظ الثورة العرابية : محفظة سابقة بتاريخ : ١٤ أغسطس ١٨٨٢م ، خطاب مـــن مـــدير البعثـــة المصرية فى فرنسا ، مسمير ومالوس

٣٤٥- محافظ الثورة العرابية : محفظة سابقة ، ٢٦ أغسطس ١٨٨٢م ، خطاب من محمد فتحى إلى نـــاظر المعارف .

٣٤٦- محافظ الثورة العرابية : محفظة رقم ١٤ ، دوسية رقم ٢٩٧ ، خطاب من محمد فتحي في ١٧ ديسمبر ١٨٨٢ م .

٣٤٧- محافظ الثورة العرابية : محفظة رقم ١٤ ، دوسية رقم ٢٩٧ ، ١٨ أغسطس ١٨٨٢ م .

٣٤٨- د. لطيفة سالم : مرجع سابق ، ص ٤٢٣ .

٣٤٩- صلاح عيسي : مرجع سابق ، ص ١٥٢.

٣٥٠- نفس المرجع ، ص ١٨٣ ، ١٨٤ .

٣٥١- نفس المرجع، ص ١٩٣ .

٣٥٢- آرثر إدوارد جولد ثميت: ترجمة فؤاد دوارة ، تعليق فتحي رضوان من حزب الوطن المصـــري، الهيئة العامة للكتاب١٩٨٣ م، ص١٩

٣٥٣- د. يونان لبيب : مرجع سابق ، ص ٢ .

٣٥٤- صلاح عيسى : مرجع سابق ، ص ١٥٠ .

٣٥٥-.أحمد عبد الرحيم مصطفى : مصر والمسألة المصرية ، دار المعارف ١٩٦٥م ، ص ٢٠١ .

٣٥٦- لمزيد من التفاصيل يرجع إلى : محافظ الثورة العرابية: محفظـــة رقـــم ٤١ ، دوســـيه رقـــم ٢ ، البرقيات الواردة من اسطنبول والصادرة إليها أثناء الثـــورة العرابيـــة ٩ شـــوال ١٢٩٨هـــــ / ٤ ، ١١سبتمبر ١٩٨١م ، ١٨٨١ م .

٣٥٧- د. عبد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية فى مصر ١٩١٨م – ١٩٣٦م ، دار الكاتب العربى ، د.ت ، ص ٢٧ .

٣٥٨- عبد المنعم الجميعى : عبد الله النديم ودوره فى الحركة السياسية والاجتماعية ، ط١ ، ١٩٨٠ ، ص ٤١٧ .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : وثائق غير منشورة :

١ - **محافظ أبحاث** رقم ١٤٩ ترجمة قانون رقم ٢٥٩٠ الصادر في ٢٦ نوفمبر ١٩٣٤م نشر في الجريدة الرسمية بتاريخ ٢٩ نوفمبر ١٩٣٤م ، العدد رقم ٢٨٦٧ .

٢- وثائق الثورة العرابية:

١- محفظة رقم ٧ دوسيه رقم ٢٥ ، ١٢ نوفمبر ١٨٨٢م .

٢- محفظة رقم ٧ دوسيه رقم ٢٧ ، ٣٠ سبتمبر ١٨٨٢م .

٣- محفظة رقم ٧ دوسيه رقم ٣٨ محرم ١٢٩٩هـ .

٤- محفظة رقم ٨ دوسيه رقم ٤٤ .

٥- محفظة رقم ٨ دوسيه رقم ٥٠ .

٦- محفظة رقم ٩ دوسيه رقم ٧٢ ، سبتمبر، نوفمبر ١٨٨٢م .

٧- محفظة رقم ٩ دوسيه رقم ٧٩ .

٨- محفظة رقم ١٠ دوسيه رقم ١١٤، محرم ١٣٠٠هـ .

٩- محفظة رقم ١٠ دوسيه رقم ١٢٣/جـ .

١٠- محفظة رقم ١٣ دوسيه رقم ٢٥٤ .

١١- محفظة رقم ١٣ دوسيه رقم ٢٥٩ .

١٢- محفظة رقم ١٣ دوسيه رقم ٢٦٣ .

١٣- محفظة رقم ١٣ دوسيه رقم ٢٦٧، ١٩ أغسطس ١٨٨٢م .

١٤- محفظة رقم ١٤ دوسيه رقم ٢٩٧ ، ١٨،٢٠،٢١ يوليو١٩٨٢م ، ١٨، ٢٤،٢٦ أغسطس ١٨٨٢م ،١ سبتمبر، ١٧ ديسمبر ١٨٨٢م .

١٥- محفظة رقم ١٥ دوسيه رقم ٣٤٤ ، قومسيون تحقيق، ذو الحجة ١٢٩٩هـ

١٦- محفظة رقم ١٧ دوسيه رقم ٣٩ .

١٧- محفظة رقم ١٧ دوسيه رقم ٤٠١ .

١٨- محفظة رقم ١٩ دوسيه رقم ٨٥ ، ٦ أكتوبر ١٨٨٢م .

١٩- محفظة رقم ٢١ دوسيه رقم ١٦ .

٢٠- محفظة رقم ٢٢ دوسيه رقم ١٩ ، ٣٠ نزفمبر ١٨٨٢م .

٢١- محفظة رقم ٤٠ دوسيه رقم ١٩٢، عدد ٤٧ .

٢٢- محفظة رقم ٤١ دوسيه رقم٢ ، ١٦ سبتمبر ١٨٨١م .

٣ - ديوان المدارس عربي :

١- دفتر رقم ١١، جـ٤ ، ربيع آخر ١٢٦١هـ " عرض حالات " .

٢- محفظة رقم ٤٩ ، دفتر ٢٧ ، مكاتبة رقم ٢٩٧ ، محرم ١٢٦٢هـ .

٣- " " " ، دفتر ٢٨ ، جـ٣ ، مكاتبة ١٧٥، ١٧ صفر ١٢٦٢هـ .

٤- " " " ، " " " ، مكاتبة ٩٣ ، ربيع أول ١٢٦٢هـ .

٥- " " " ، " ٤٨ ، جـ٧ ،مكاتبة ٧١١ ، ربيع الآخر ١٢٦٣هـ .

٦- محفظة رقم ٤٩ ، دفتر ٥٥ ، جـ٢ ، ٧٥٦ مكاتبة ، ذو الحجة ١٢٦٢هـ .

٧- محفظة رقم ٥٠ ، دفتر رقم ١٤٣ ، وثيقة رقم ٣٧ ، ١٨ محرم ١٢٦٦هـ .

٨- " " " ، دفتر ١٥١ ، مكاتبة رقم ٨٩٤ ، ١٤ جمادى الأخرى ١٢٦٦هـ .

٩- " " " ، دفتر رقم ١٦١ ، مكاتبة رقم ٢ ، ٢ ربيع آخر ١٢٦٦هـ .

ثانياً : المراجع الإفرنجية :

1-A.A , Paton, A history of the Egyptian revolution , V, II,London,1863 .

2-Charle Issawi, Egypt at mid century an economic survey, Oxford,1954.

3-Hamont , L 'Egypt sous Mohamed Ali,Vol,I .

4-Henry,Dodwel, the founder of Modern Egypt ,Cambridge,1931.

5-Lutesky, Modern history, of the Arab countries, printed in the Union of Soviet, socialist republics, 1969 .

6-Renier, Egypt after the battle of Hiliopolice , London 1802.

ثالثا: المراجع العربية:

١- إبراهيم زكى: الحالة المالية والتطور الحكومى فى عهدى الحملة الفرنسية ومحمد على، المطبعة المصرية د.ت

٢- د. أحمد السعيد سليمان : تأصيل ما ورد فى الجبرتى من الدخيل، دار المعارف ١٩٧٩م .

٣- أحد القواميس التركية: " معرض الكتاب " .

٤- د. أحمد عبد الرحيم مصطفى : تطور الفكر السياسى فى مصر الحديثة ، معهد الدراسات العربية ١٩٧٣م .

٥- " " " " : مصر والمسألة المصرية ، دار المعارف ، ١٩٦٥م .

٦- أحمد أمين : زعماء الإصلاح فى العصر الحديث ، مكتبة النهضة ، ١٩٦٥م .

٧- د. أحمد عزت عبد الكريم : التجديد فى العالم الإسلامى، د.ت .

٨- " " " " : تاريخ التعليم فى عهد محمد على ، القاهرة ١٩٣٨م .

٩- " " " " : تاريخ التعليم من نهاية عهد محمد على إلى توفيق، ١٩٤٨م

١٠- د. أحمد زكريا الشلق : رؤية فى تحديث الفكر المصرى ، الشيخ حسين المرصفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤م .

١١- أحمد فؤاد شكرى : بناء دولة محمد على ، دار الفكر العربى ١٩٨٤م .

١٢- الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار، جـ١ ، جـ٢ ، جـ٤ ، بيروت ١٩٧٨م .

١٣- آرثر : إدوارد جولد ثميت ، ترجمة فؤاد دوارة ، تعليق فتحى رضوان، الحزب الوطنى المصرى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣م .

١٤- د.إلهام ذهنى:مصر فى كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين فى ق.١٨، الهيئة المصرية العامة للكتاب١٩٩٢م ١٥- إلياس الأيوبى : تاريخ مصر فى عهد الخديو إسماعيل ، م٢ ، دار الكتب ١٩٢٢م

١٦- إميل فهمى : التعليم فى مصر ، الأنجلو ١٩٧٥م .

١٧- أنطون يعقوب : مصر الحديثة فى ثلاث سنين ، ١٩١٧م .

١٨- بلنت : التاريخ السرى لاحتلال إنجلترا مصر ، د.ت .

١٩- جاك تاجر: حركة الترجمة بمصر خلال القرن التاسع عشر ، دار المعرف، د.ت .

٢٠- جرجس سلامه : أثر الاحتلال البريطانى فى التعليم القومى فــى مصــر ، ط١ ، القــاهرة ، ١٩٦٦م .

٢١- جمال الدين الشيال : التاريخ والمؤرخون فى مصر فى: ق.١٩ ، النهضة المصرية ، ١٩٥٨م

٢٢- د.حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة العربية فى أفريقيا ،جــ١ ، مكتبة النهضة ١٩٥٨م

٢٣- حسين عبد الرحيم عليوة : رفاعة الطهطاوى مربياً ، ندوة رفاعــة مــن ١٨ : ٢٠ديســمبر ١٩٧٦م .

٢٤- د. حسين فوزى النجار : رفاعة الطهطاوى ، أعلام العرب ، د.ت .

٢٥- " " " " : على مبارك ، أعلام العرب ، دار الكاتب العربى ١٩٦٧م .

٢٦- د. حلمى أحمد شلبى : الموظفون فى مصر فى عهد محمد على ، الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٦م .

٢٧- دى شابرول : ترجمة زهير الشايب ، وصف مصر ، ط١ ، ١٩٧٦م .

٢٨- ذوقان قرقوط : تطور الفكرة العربية فى مصر ١٨٠٥- ١٩٣٦م ، بيروت ١٩٧٢م .

٢٩- رمزى تادرس : الأقباط فى ق.٢٠ ، جــ١ ، القاهرة سنة ١٩١٠ م .

٣٠- رؤوف عباس حامد: مصر فى ق.١٩ ، دار النهضة العربية ، د.ت .

٣١- زهير الشايب : وصف مصر ، م٥ ، الخانجى ، ط١ ، ١٩٧٩م .

٣٢- د. سعيد إسماعيل : المجتمع المصرى فى عهد الاحتلال البريطانى .

٣٣- د. سلوى العطار : التغيرات الاجتماعية فى عهد محمد على ، دار النهضة العربية ،ط١ ، ١٩٨٩م

٣٤- د. سميرة بحر : الأقباط فى الحياة السياسية المصرية ، الأنجلو ، ١٩٧٩م .

٣٥- شفيق غربال : أعلام الإسلام ، محمد على الكبير ، دائرة المعارف الإسلامية ، القاهرة د.ت .

٣٦- شهود الأهرام تقاسم الوظائف بين الأقباط والمسلمين فى مصر ، الأهرام ١٩٨٦م .

٣٧- صالح جودت : مصر فى ق.١٩ ، القاهرة ١٩٠٤م .

٣٨- صلاح عيسى : الثورة العرابية ، بيروت ، ١٩٧٢م .

٣٩- عبد الرحمن الرافعى : عصر محمد على ، مكتبة النهضة ، ط٣ ، ١٩٥١م .

٤٠- " " " : عصر إسماعيل ، جـ١ ، جـ٢ ، دار المعارف ١٩٨٢م.

٤١- " " " : الثورة العرابية دار المعارف ١٩٨٣م .

٤٢- " " " : جمال الدين الأفغانى ، مكتبة النهضة ١٩٣٧م .

٤٣- د. عبد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية فى مصر : ١٩١٨- ١٩٣٦م ، دار الكاتب العربى، د.ت .

٤٤- د. عبد المنعم الجميعى : عبد الله النديم ودوره فى الحركة السياسية والاجتماعية ،ط١ ، ١٩٨٠م .

٤٥- د. على الدين هلال : التجديد فى الفكر المصرى الحديث ، ١٩٧٥م .

٤٦- عمر السكندرى وسليم حسن : تاريخ مصر من الفتح العثمانى ، دار المعارف ١٩٣١م .

٤٧- د. عبد الكريم رافق : العرب والعثمانيون ، دمشق ، ط١ ، ١٩٧٤م .

٤٨- الأميرعمر طوسون : البعثات العلمية فى عهد محمد على ، الإسكندرية ١٩٣٤م .

٤٩- فيليب حتى : تاريخ العرب ، جـ٣ ، د.ت .

٥٠- كلوت بك : لمحة عامة إلى مصر ، جـ١ ، دار الموقف العربى ، ط٢ ، ١٩٨١م .

٥١- د. لطيفة سالم : القوى الاجتماعية فى الثورة العرابية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨١م .

٥٢- د. لويس عوض : تاريخ الفكر المصرى الحديث ، جـ١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠م

٥٣- " " " : " " " " ، جـ٢ ، " " " " ١٩٨٣م

٥٤- لوتسكى : تاريخ الأقطار العربية الحديث ، دار التقدم ، موسكو ١٩٧١م .

٥٥- محمد أحمد فرغلى : عشت حياتى بين هؤلاء ، الأهرام ١٩٨٤م .

٥٦- محمد حسين هيكل : مذكرات فى السياسة المصرية ، جـ١ ، النهضة المصرية ، ١٩٥١م .

٥٧- د. محمد عمارة : الاعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوى ، جـ١ ، بيروت ، ١٩٧٣م .

٥٨- مصطفى عبد الرازق : محمد عبده ، دار المعارف ١٩٥٤م .

٥٩- مصطفى عبد الغنى : المؤثرات الفكرية فى الثورة العرابية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢م

٦٠- محمد سلام مدكور : جمال الدين الأفغانى ، ١٩٣٧ م.

٦١- مورو برجر : ترجمة محمد توفيق ، البيروقراطية والمجتمع فى مصر الحديثة ، القاهرة ١٩٥٩م

٦٢- ميخائيل شاروبيم : الكافى ، جـ١ ، ١٩٠٠م .

٦٣- هاملتون جب : المجتمع الإسلامى والغرب ، جـ٢ ، دار المعارف ، ١٩٧١م .

٦٤- هيلين ريفلن : الاقتصاد والإدارة فى مستهل ق. ١٩ ، القاهرة ١٩٦٨م .

٦٥- د. يونان لبيب : ندوة رفاعة الطهطاوى وقضايا عصره من: ١٨ - ٢٠ ديسمبر ١٩٧٦م .

٦٦- " " " : الحياة الحزبية فى مصر فى عهد الاحتلال ، القاهرة ١٩٧٠ م .

٦٧- " " " : مصر المدنية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٦م .

رابعاً: الدوريات :

١- الأهرام : ١٤ فبراير ١٩٩١م .

٢- الثقافة : عدد ٢٣٥، السنة الخامسة .

٣- السياسة الأسبوعية : ١٩ مارس ١٩٢٧ م .

٤- الطليعة : فبراير ١٩٦٥م ، سبتمبر ١٩٧٢م .

٥- جريدة مصر : سبتمبر ،٢٣ نوفمبر ١٨٧٨م، السنة الثانية ، أعداد ، ٢٣ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٤١ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٥٢

٦- الوقائع المصرية : ١٢ يناير ، ١٨٧٩م ، عدد ٧٩٣ .

٧- جريـــدة الـــوطن : ١١ ينـــاير ، ٨ فبرايـــر ١٨٧٩م ، الســـنة الثانيـــة ، العـــدد ٦١ ، ٦٥ ، ١٢ ، ١٩، ٢٦، أبريـــــل ١٨٧٩م العـــــنة الثانيـــــة عـــــدد ٧٤، ٧٥، ٧٦ ، ٣١ مـــايو ١٨٧٩م ، الســـنة الثانيـــة ، عـــدد ٨١ ، ٧يونيـــو/جمـــادى الأخـــرى ١٢٦٩هـــــ، عـــدد٨٢ ، ٦ ســـبتمبر ، ٢٧ ســـبتمبر ، الســـنة الثانيـــة ، عـــدد ٩٥ ، ١٠٠ ، ١٦ أكتـــوبر ١٨٨٠م ، ١٥ نـــوفمبر ١٨٧٩م ، الســـنة الثالثـــة، عـــدد ١٠٥.

رقم الإيـداع

٩٧٠٥ / ٢٠٠٩